

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مؤسسة الأزهر

في كل شهر عربي

ماعددا شهري ذي القعدة وذى الحجة

الجزء الثالث	٦٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٥	المجلد السابع عشر
--------------	------------------------	-------------------

مركز بحوث ودراسات الأزهر
مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وهدي

الاشتراكات عمدة سنة

الإدارة

داخل القطر ٢٠٠
لطلبة الجامعة الأزهرية خاصة ... ١٠٠
خارج القطر ٣٠٠

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٣

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

نعم الجزء الواحد ٢٠ مليما داخل القطر و ٣٠ خارج

(مطبعة الأزهر — ١٩٤٦)

فهرس

الجزء الثالث — المجلد السابع عشر

الموضوع	الصفحة
احتفال الأزهري بعيد ميلاد	
حضرة صاحب الجلالة الملك ...	٩٧
كلمة الأستاذ الأكبر ...	
احتفال الأزهري بالمولد النبوي ...	١٠٠
كلمة الأستاذ الأكبر ...	
السيرة الحمديّة ...	١٠٤
من أدب النبوة ...	١٠٨
التأليه العقلي ...	١١١
خالد بن الوليد ...	١١٤
لغويات ...	١١٨
حديث كنت كنزا مخفيا ...	١٢١
بحث في مقارنة القوانين الوضعية ...	١٢٣
العقل والنقل والذوق ...	١٢٧
يجب أن تختار الانسانية ...	١٣٠
علوم القرآن ...	١٣٥
لغة قريش ...	١٣٨
الرجز والرجاز ...	١٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

احتفال الأزهر

بعيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة الملك

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ^{رحمته} يحيى هذا العيد الأغر المحجل

احتفل الأزهر في يوم ١١ من شهر فبراير بعيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، فأمر الأزهر قبيل الظهر ألوف من كبار رجال الدولة والعلماء والأعلام والأعيان وطلاب العلم ، ملبيين دعوة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق . فلما كانت الساعة الحادية عشرة نهض فضيلته فألقى كلمة قيمة كساها من وحي بيانه الرفيع بحلة بديعة تجلت فيها مناقب الفاروق وما أثره في أجل معرض تتجلى فيه كرائم المناقب ، وجلائل المآثر ، فكان إجماع المحتفلين بها عظيما ، وشكرهم لفضيلته عليها جزيلا .

ثم نهض فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي المدرس بكاية الشريعة فألقى كلمة بليغة ضمنها من صفات جلالة الملك وكمالاته ما نضوت بهذاه الأندية ، وسار ذكره في الآفاق . فكان نصيبه من الحاضرين التقدير والتعجيل .

ثم قام الطالبان النجيبان الشيخ حسن جاد والشيخ إجمالى عبد الرازق من كلية اللغة فألقى كل منهما قصيدة بليغة انتظمت من محامد جلالة الملك ومكارمه ما يجب أن تشف بها الأصماع في المحافل ، فكان ثناء المستمعين عليهما وفيرا .

وإلى القراء كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر حفظه الله :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق مآثر على الجامع الأزهر لا يبلغ الشكر مداها .

فقد سار حفظه الله منذ ولى ملك مصر سيرة أبيه الملك الجليل — يرحمه الله — في رعاية هذا المعهد الشريف وموالاته البرّ به .

أظهر الفاروق في كل مناسبة عنايته بالأزهر ، وحرصه على أن يراه في مقدمة المعاهد العلمية في العالم ، ممتازا في ثقافته الجامعة بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، ممتازا في تقاليده القائمة على أساس من الفضائل الشرعية وأساس من الحكمة ، ممتازا بأنه منهل الدين الخالص والعقل الحر ، ومهد العزة والكرامة والقسامح ، ومأوى النظام والسلام ، ومشرق الأسوة الحسنة والموعظة الحسنة .

هذا ما يريده للأزهر الملك العزيز ، وهذا ما يريده للأزهر .
وسيشق الأزهر الطريق إلى غاياته قُدُما بأذن الله ، فعين الله ترعاه ، ويد الفاروق تسند خطاه ، وصالحو الأزهرين بعد ذلك ظهير .

وإذا كان فضل الملك المحبوب على الجامع الأزهر فضلا عظيما ، فإن جهاد جلالته في خدمة مصر وخدمة الاسلام والعروبة جهاد عظيم يهتف بذكره وشكره كل مصري وكل مسلم وكل عربي .
فحق علينا في هذا اليوم المبارك ، عيد الميلاد الملكي الكريم ، أن نجزي المحسن باحسانه ، عواطف تفيض بها القلوب ودا ووفاء ، ومحامد تلهج بها الألسن مدحا وثناء ، وثنى تبهل بها النفوس توسلا ودعاء .

.. إنا نحب مليكنا في ذات الله لأنه أهل لذلك ، ونحبه رمزا عزيزا للوطن العزيز ، ونحبه للاسلام والعروبة إذ هو المجاهد الأعظم في سبيل الاسلام والعروبة .

وبكل هذا الحب نتوجه إلى صاحب العرش المصري في عيد ميلاده الميمون تحية لذاته المحببة ، وتحية لعرشه المفدى .

نسأل الله أن يحفظ الفاروق العظيم قائدا للنهضة مظفرا ، وعلما تسير في كنفه الآمال إلى المجد والنصر . والحمد لله رب العالمين .

أما القصيدتان فهذه أولاهما ، وقد أجاد منقشها الفاضل في إنشادها ، فحرب لها السامعون وأثنوا على ناسج بردها بما هو أهله ، وإنا لنجتزى منها بأبيات إدلالا على قيمتها :

من الأفق الخلدى نغم طائرُهُ وقاضت على معج الزمان بشائرُهُ
يُفرق في الفجر الندى لحوته فتهتر في شطيه نشوى أزاهره
تراقص الأدواح فوق ضفافه عرائس واد جُفن بالحسن سامره

على لمحات الطير من صبواتها طرائف شدو أبدعتها حناجره
تساءلت الدنيا عن الذيل ماله ترنح وادبه وصفق زاخره ؟
وما هذه الأفراح في جنباته وما ذلك الصداح رنت مزاخره ؟
وما بهجة الوادي تسيل مواكباً بأمانها لم يحظ قبل قياصره ؟
وما ذلك الصبح الذي طالع الدني بمالم تنحه في الزمان بواكره ؟
وما الشرق يهفو نحو مصر مشاعلا توهج من لبنان فيها مشاعره ؟
هي الفرحة الكبرى يبشر بها فجرها بيوم على الأيام تزوي مآثره
بشير إلى الشرق العتيد بعاهل على تاجه الميمون نجيا مفاخره
بشير بفاروق يحياه كلما تبدى بليل الشرق ولت دياجره
كفى عصره أن الزمان بأمره أوائله بحسده وأواخره

أمولاي هذا الأزهر اليوم قد شدا بمولك الأسنى وحيالك شاعره
يكبر للتاج السعيد شبابه ويهتف بمد الله باسمك ذاكره
نهضت به للدين والعلم فاعتقدت بقيته على الماضي ويعتر حاضره
وأعزته بمد الإمام بمصطفى فصحت أمانيه وقرت ضمائر
قدم في أمان الله ترمك عينه وتحميك من عادى الزمان مقادره
ولا زال للأيام عيدك بهجة زف على الوادي فتذكو مشاعره

حسن جاد

وهذه ثانية القصيدتين وقد نالت إعجاب المحتفلين فأثمنوا على ناظم عقدها أطيب الثناء :

على وجهك البسام رف نشيد وفي وشبك الفتان أقبل عيد
ومن نورك الوهاج تأتلق المنى ويهتز صداح ويطرب عود
وتفتخر الساعات فيك كأنها من التيه في جيد الزمان عقود
يفيض عليك الحسن شعراً كأنما على يد فاروق تدفق جود
إذا أنشد الدهر البليغ فإنما له أنت والأيام بعد قصيد
وإن أسعد التاريخ مولد ليلة فأنت بميلاد الملك سميد

له العزم أبداه الشباب مشاءلا يفوق مضاء السيف وهو حديد
تبدى بها لبنان واهتز نحوها حجاز وخفت بالعراق كجود
وهاكم شباب النيل يلتف حولها بلاد لها من مجدهن شهود
أمولاي أنجزت الأنام وهل درى لغيرك مأثورا عليه يزيد
وكم تعجب التاريخ آلاؤك التي تجل عن الإحصاء وهو عديد
سينى عليك الدين والعلم والتقى وطارف ما أوليتها وتليد
تفيد لنا في كل يوم دعائنا فياحبذا ما تبتنى وتشيد
ومن كان في آباءه الغر قدوة ينل هامة الآمال حيث يريد
أفروق هذا عيدك الفذ أقبلت تحييه في إثر الوفود وفود
وما الأزهر المعمور إلا حديقة يفيض عليها من سمائك جود
لها مصطفىك العالم الفذ حارسا يرد سهام المعتدى ويبيد
وما دمت يا فاروق للشرق قائدا فنحن جميعا في هداك جنود
كلية اللغة العربية أمبالي على غير الرزق

احتفال الأزهر بالمولد النبوي

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر يلقي فيه خطبة جامعة

احتفل الأزهر في يوم الخميس ١٢ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٥ بذكرى مولد النبي محمد خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فأمه أوف من رجال الدولة والعلم والوجهاء والطلبة في نحو الساعة العاشرة قبل الظهر ، بخامرم الشوق الى سماع كلمة من كلمات حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق الراقمة ، فلم يطل انتظارهم حتى قام فضيلته فألقى خطبة تلقفت الاسماع عباراتها المؤنقة ، وفقرها الموفقة بشغف عظيم . وقد ألم فيها فضيلته في تلك الكلمة الموجزة بنبذ تاريخية قيمة فيما يختص بالاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وببداية الاسلام ومعناه ، وجهاد النبي في سبيل نشره ، وما لقي هو وأصحابه من العنت في سبيله ، وما تأدوا اليه من النصر المؤزر في النهاية ، كل هذا في عبارات منتخلة ، وألفاظ منتخبة ، حتى جاءت هذه الكلمة في إيجازها بما يوفى بحق هذه الموضوعات المختلفة . فكان

له العزم أبداه الشباب مشاءلا يفوق مضاء السيف وهو حديد
تبدى بها لبنان واهتز نحوها حجاز وخفت بالعراق كجود
وهاكم شباب النيل يلتف حولها بلاد لها من مجدهن شهود
أمولاي أنجزت الأنام وهل درى لغيرك مأثورا عليه يزيد
وكم تعجب التاريخ آلاؤك التي تجل عن الإحصاء وهو عديد
سينى عليك الدين والعلم والتقى وطارف ما أوليتها وتليد
تفيد لنا في كل يوم دعائنا فياحبذا ما تبتنى وتشيد
ومن كان في آباءه الغر قدوة ينل هامة الآمال حيث يريد
أفروق هذا عيدك الفذ أقبلت تحييه في إثر الوفود وفود
وما الأزهر المعمور إلا حديقة يفيض عليها من سمائك جود
لها مصطفىك العالم الفذ حارسا يرد سهام المعتدى ويبيد
وما دمت يا فاروق للشرق قائدا فنحن جميعا في هداك جنود
كلية اللغة العربية أمبالي على غير الرزق

احتفال الأزهر بالمولد النبوي

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر يلقي فيه خطبة جامعة

احتفل الأزهر في يوم الخميس ١٢ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٥ بذكرى مولد النبي محمد خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فأمه أوف من رجال الدولة والعلم والوجهاء والطلبة في نحو الساعة العاشرة قبل الظهر ، بخامرم الشوق الى سماع كلمة من كلمات حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق الراقمة ، فلم يطل انتظارهم حتى قام فضيلته فألقى خطبة تلقفت الاسماع عباراتها المؤنقة ، وفقرها الموفقة بشغف عظيم . وقد ألم فيها فضيلته في تلك الكلمة الموجزة بنبذ تاريخية قيمة فيما يختص بالاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وببداية الاسلام ومعناه ، وجهاد النبي في سبيل نشره ، وما لقي هو وأصحابه من العنت في سبيله ، وما تأدوا اليه من النصر المؤزر في النهاية ، كل هذا في عبارات منتخلة ، وألفاظ منتخبة ، حتى جاءت هذه الكلمة في إيجازها بما يوفى بحق هذه الموضوعات المختلفة . فكان

وقعها في نفوس سامعيها في المسجد وقارئها في الصحف عظيما ، وكان حقا علينا بعد ذلك أن نثبتها في مجلة الأزهر لتخلد فيها مع أمثالها من الكلمات الجامعة ، والحكم البالغة .

* * *

وبعد هنية نهض أصحاب الفضيلة الاساتذة المحترمون الشيخ محمد أحمد عرفة من جماعة كبار العلماء ، والشيخ علي حموده والشيخ علي بدوي من مدرسي الجامعة الأزهرية ، وألقى كل منهم كلمة مختارة نالت من المحتفلين إعجابا وتقديرا ، كان أثرها باديا على الوجوه .

وألقى حضرة الأستاذ الشيخ رياض هلال من نجباء الطلاب قصيدة عامرة الايات طرب منها المستمعون ودعوا لقائلها بالنجاح والفلاح .

* * *

وهذه الكلمة القيمة التي ألقاها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر :

لم يكن من سنة العرب أن يحتفلوا بتاريخ ميلاد لأحد منهم ، ولم تجر بذلك سنة بين المسلمين فيما سلف . ويظهر أن عادة الاحتفال بميلاد النبي عليه السلام من العادات المحدثه ، اللهم إلا أن أهل مكة فيما رواه بعض المؤرخين كانوا يتهربون بزيارة الموضع الذي ولد فيه عليه السلام في يوم ميلاده .

وما هي بالبدعة السيئة أن يجعل الناس يوما من أيام العام خاصا بتذكار محمد رسول الله أكبر أبناء آدم بركة على الإنسانية ، وأبقام في صحائف التاريخ أثرا .

لم تشعر الأمة العربية بذلك اليوم العظيم الذي وضعت فيه حملها الأنيم الفقيرة آمنة بنت وهب أرملة عبد الله بن عبد المطلب ، حتى لقد خفي على العرب عام ميلاد النبي ، وخفي عليهم موضع الدار التي جاء لآمنة فيها المخاض ، واختلفوا في ذلك اختلافا كثيرا .

وقد يتبين من هذا أن ما ذكره بعض أرباب السير من أن إرهابات وحوادث سحابة وأرضية وقعت في يوم مولده الشريف ، فيه من الغلو ما لا يقوم عند التححيص ولا يحققه التاريخ .

وليست سيرة النبي العظيم محمد بن عبد الله محتاجة الى نافلة من خيال المؤرخين . إن محمدا لعظيم في طفولته بين ذلي اليتيم والفقر ، وعظيم في كهولته بين جلال الاسلام ومجد العرب . وهل حفظ التاريخ محمدا أكبر من محمد النبي العربي صاحب الدين الخالد والهدى الراشد ؟

كان محمد في صدر حياته يشعر بما عليه قومه العرب من سخافة عقائدهم واستيلاء الأوهام عليهم وتفرق كلمتهم وتفانيهم بتسافك الدماء بينهم وإشرافهم على الهلاك باستعباد الغرباء لهم وتحكم الأجانب في كثير من بلادهم ، وكان يلتمس السبيل لتقويم عقائدهم وجمع كلمتهم وإيقاظهم من سباتهم وإصلاح شأنهم وإصلاح العالم بهم ، فيحار في ذلك فكره ويضل فيه رأيه .

« ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى . »

وللخلاص من هذه الحيرة كان يطلب الخلوة بغار حراء ، ويلتمس هداية ربه في جوانب قلبه وهو ممتلي النفس هما وطموحا وقلقا ، حتى ملكت عليه هذه الخواطر كل مشاعره ، فهو يشهدا يقظة ، وهو يشهدا مناما .

ولما بلغ سن الأربعين جاءه الوحي من الله وبعث رسولا نبيا ، فآدى بمكة رسالته ، يتحمل من قريش كل أذى في سبيل الله .

وأقام مجد بمكة صابرا على الفتنة ، جاهدا في الدعوة الى ربه والهداية الى الخير والبر ، يوافي المواسم يتنصع الحاج حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة بقبيلة يدعوهم أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ، فيردونه ويؤذونه خوفا من قريش ويقولون « قومك أعلم بك » . ولم يكن شئ من ذلك ليضعف من عزم محمد عليه السلام في بيان ما عليه الناس من شر ، وإرشادهم الى طريق الخير ، وكان آخر ما نزل عليه من آيات القرآن بمكة « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

ثم لقي عند وفد يثرب من الأوس والخزرج معينا على نصرته ، فأعطوه موثقا ، وأخذ يخرج اليهم من كان قد دخل في الاسلام من أهل مكة ، وخرج اليهم محمد مهاجرا في سبيل الله تاركا وطنه وماله وأهله ، ليؤدى حرا أمانة الله ، وليؤدى شعائر دينه حرا .

ويروى أن محمدا حين خرج من مكة نظر الى البيت وقال « والله إنك لأحب أرض الله الى ، وإنك لأحب أرض الله الى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » . وتلاحق المهاجرون الى رسول الله فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس . وكانت سن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلاثا وخمسين سنة ، وذلك بعظم أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة . هذه هي الحادثة الكبرى في تاريخ انتشار الاسلام ، التي أجملت بعد ذلك بداية للتاريخ الاسلامي .

تألفت في يثرب ، التي سميت منذ الهجرة المدينة ، جماعة إسلامية تربطها وحدة العقيدة على اختلاف المناسب والديار ، ويسوى الدين بين أفرادها ، فهم إخوة في الله يسمى بذمتهم أديانهم وهم يد على من سواهم ، وأمرهم شورى بينهم ، وما عهد إلا رجل منهم اختاره الله لوحيه ورسالته . قامت هذه الجماعة حياة ناهضة بما بث فيها الإيمان من قوة وأمل ، وشجاعة وصبر .

عاش محمد في المدينة عشر سنين غزا فيها بنفسه سبعا وعشرين غزوة . أما بعموته وصراياه فكانت ثمانية وثلاثين .

والذي يُعرب عن سر الجهاد في الاسلام ووجهة هذه الغزوات والسرايا، هو ما جاء في القرآن :

«وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ، وَلَا تَعْتَدُوا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَاقْتُلُوا مَن تَقْتُلُوا، وَأَخْرِجُوا مَن أَخْرَجُواكُم، وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ، وَلَا تَقَاتِلُوا عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلَكُم فِيهِ، فَإِن قَاتَلَكُم فَاقْتُلُوا، كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. فَإِن انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. وَاقْتُلُوا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ، فَإِن انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» .

لم تكن حروب محمد طمعا في مال، فان المجاهدين الاولين من المسلمين كانوا يؤثرون الموت في سبيل الله لينالوا الشهادة والحياة الباقية : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

ولم تكن حروب محمد للاكراه في الدين، فان القرآن ينادي « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي »

كانت غاية محمد من حروبه ألا تكون فتنة ويكون الدين لله، وكان إذا أمر أميرا على جيش أو على سرية أو صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين حريصا ثم قال : « اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا » الحديث رواه مسلم .

وقد بذل محمد في عشر سنين من الجهد العقلي والبدني ما لا تقوم به طاقة البشر، وهو يومئذ من صمره بين الحسين والستين .

ومضى محمد إلى ربه بعد أن بلغ الرسالة ورسخت دعائم دعوته، وترك في الناس ديننا خالدا هو دين الاسلام . وقد جمع الرسول عليه الصلاة والتسليم صفة دعوته وأصول دينه في حديث رواه مسلم قال « قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قول لا أسأل عنه أحدا بعدك، وفي رواية «غيرك» قال : قل آمنت بالله ثم استقم » .

ويقول الرسول لعمر بن الخطاب : « أذن في الناس أن من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصا دخل الجنة » .

والاخلاص هو أساس الدعوة المحمدية، وهو أساس الدين الذي جاء به محمد عليه السلام . ويدل على ذلك اسم هذا الدين « الاسلام » المأخوذ من السلامة وخلوص القلب . وفي القرآن الكريم « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم »

السيرة المحمدية

تحت ضوء العلم والفلسفة

قلنا في ختام المقال السابق بأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قدوة وا، وهم يؤسسون الامبراطورية الاسلامية، بجميع ما وعدوا به العالم من المساواة والمعدل والرحمة، وبأنهم رفعوا شأن كل أمة افتتحوها بلادها درجات مما كان عليه، وأنهم تأتموا عن ارتكاب مثل ما ارتكبه الامم الفاتحة التي سبقتهم من إذلال المقهورين وسلب أموالهم، واضطهادهم ليدخلهم في ملتهم.

وأحسن ما تقدمه للقراء دليلا على كل ما قلناه شهادة عالم من أشهر علماء أوروبا هو الدكتور جوستاف لوبون. قال في كتابه (حصارة العرب) (١):

« كان يمكن أن نسمى فتوح العرب الاولى أبصارهم فيقتربوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسبوا معاملة المغلوبين، ويقهروهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في أنحاء العالم. ولو فعلوا ذلك لتألبت عليهم جميع الأمم التي كانت بعد، غير خاضعة لهم، ولأصابهم مثل ما أصاب الصليبيين عندما دخلوا بلاد سورية مؤخرًا، ولكن الخلفاء السابقين الذين كان عندهم من العبقرية ما ندر وجوده في دماء الديانات الجديدة، أدركوا أن النظم والاديان ليست مما يفرض قسرا، فعاملوا أهل سورية ومصر واسبانية، وكل قطر استولوا عليه، بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فاضين عليهم سوى جزية زهيدة في مقابل حمايتهم لهم، وحفظ الأمن بينهم. والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب.

« ورحمة العرب الفاتحين وتسامحهم، كانا من أسباب اتساع فتوحهم واعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم التي رسخت وقاومت جميع الغارات، وبقيت قائمة حتى بعد توارى سلطان العرب عن مسرح العالم، وإن أنكر ذلك المؤرخون. ولقد مصر أوضاع داليل على ذلك، فقد انتحلت مصر ما جاءها به العرب، وحافظت عليه، ولم يستطع الفاتحون الذين سبقوهم إليها من الفرس والاغريق والرومان أن يقلبوا الحضارة الفرعونية القديمة فيها وأن يحملوها ما أتوها به» اهـ.

(١) مقتبس من ترجمة كتاب حضارة العرب الى العربية للاستاذ محمد عادل زهير من أفاضل نابلس (فلسطين).

هذه شهادة قيمة من عالم أجنبي ، وليس هو ينفذ في أداء هذه الشهادة ، فقد سبقه وتأخر عنه جم غفير من أعلام التاريخ ؛ وليس لنا من ملاحظة على ما قاله الدكتور (جوستاف لوبون) إلا ما قاله من أن هذا التسامح الديني كان بفضل عبقرية الخلفاء الراشدين ، وهو في الواقع من حكمة الشريعة الإسلامية نفسها ، فانها لم تفرض نشر الاسلام بالقوة إلا على مشركي العرب ، وحرمة في حق أهل الكتب السماوية والمشركون من غير العرب . فاذا خضع هؤلاء لدفع الجزية فلا سلطان بعد ذلك لأحد عليهم . والجزية كما يقول الأستاذ (جوستاف لوبون) قدر قليل من المال يعني منه النساء والأطفال ورجال الدين والمعزة .

ونحن نورد هنا مذاهب أثمتنا في هذا الموضوع الخطير فنقول :

تقرر في مذهب أبي حنيفة أن الجزية تقبل من سائر الكفرة إلا مشركي العرب .

ومذهب الشافعي الى أنها لا تقبل إلا من المجوس وأهل الكتاب دون سائر الكفرة .

أما مالك فقال إنها تقبل من سائر الكفرة إلا المرتدين . ويؤيد هذا المذهب أن الجزية لم تفرض إلا بعد أن أسلمت دارة العرب ، ولم يبق فيها مشرك ، فلم يأخذها النبي صلى الله عليه وسلم منهم لعدم وجود من تؤخذ منه ، لا لأنها لا تجوز في حقهم . وفيما دونه أئمة الحديث من أقواله يدل على ذلك ، ففي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض قواده : « إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى إحدى ثلاث ، فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم : الاسلام أو الجزية أو القتال » .

وما وصل اليه من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « قاتلوا الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » فقد كان ذلك في حق العرب قبل نزول فرض الجزية .

هذا ما فهمه أئمة الدين من هذا الموضوع ، ولسنا نلج في بيانه لنسلب من المسلمين الأولين صفة العبقرية التي اعترف لهم بها الدكتور جوستاف لوبون ، ولكن لأن الصحيح هو ما ذكرناه .

ونحن إنما نتشدد في هذا الأمر الذي قد يرى كثير من القراء أنه مما يحسن التسامح فيه ، وخاصة لكاتب أجنبي أنصف الاسلام والمسلمين الى حد لم يبلغ اليه غيره من كتاب الفرنجة ، إنما نتشدد معه لأنه يرى أن القبائل العربية قبل الاسلام كانت متمتعة بكل الصفات الأدبية والاجتماعية التي تؤهلها لاحداث ما أحدثته من الانقلابات الخطيرة في العالم ، وأن ما أفاها به الاسلام ينحصر في توحيد قبائلها ، وتوجيه جهودها ، وأن كل ما ظهروا به مما بهر العالم من ترقية العلوم والصناعات ، وما بلغوا اليه من الشأ والبعيد في الكمالات ، إنما كانت البوارجح اليه كامنة فيهم ، وإنما منع من ظهورها فيهم ما كانوا عليه من الفوضى والانقسام .

نعم إنه ليشق علينا أن نقف موقف المعارضة من عالم ختم كتابه العظيم (حضارة العرب) بهذه العبارة التي لم يقلها عالم من المتأخرين في دين من الأديان . قال :

« لقد تم الكتاب ، فلناخصه في بضع كلمات فنقول :

« إن الأمم التي فاقت العرب تمدنا قليلا الى الغاية ؛ وإن ما حققته العرب في وقت قصير من المبتكرات العظيمة لم تحققه أمة ؛ وإن العرب أقاموا دينا من أقوى الأديان التي سادت العالم ولا يزال الناس يخضعون لها ، وإنهم أنشأوا دولة تعد من أعظم الدول التي عرفها التاريخ ؛ وإنهم مدنوا أوروبا ثقافة وأخلاقا ، وإن الأمم التي سمت سمو العرب وهبطت هبوطهم نادرة ، وإنه لم يظهر كالعرب شعب يصلح ليكون مثالا بارزا لتأثير العوامل التي تهيم على قيام الدول وعظمتها وانحطاطها . »

فلنايشق علينا أن نقف موقف المعارضة من كاتب مثل هذا الكلام ، ولكن مصلحة الدين الذي ندين به ، بل مصلحة العلم نفسه تقتضيه ، فانه إن كان أنصف المسلمين باعتبارهم أمة ، فانه ظلم الاسلام باعتباره دينا . فانه في اليوم الذي يثبت فيه أن لقيام الدولة الاسلامية وتبسطها في الارض ، وتوسعها في العلم ، وتداركها للعالم من التدهور ، ولمدنيته من الانحلال والدور ، عللا طبيعية ، وأسبابا مادية ، تسقط أعظم حجة للمسلمين في إلهية الدين الاسلامي ، فان معجزته الخالدة ، وآيته الكبرى ، هي أنه أوجد أمة من العدم ، وأنه ربى نفوسها في نحو ربع قرن ، تربية لم تبلغ شأوها العلل الطبيعية في قرون كثيرة ؛ ثم دفع بها في مجال الحياة الاجتماعية فبلغت فيه درجة الرعامة في كل شأن من شؤون الحياة الانسانية ؛ ولا يزال فيها من قوة الروح ، وسمو المبادئ ، وعوامل التطور ، ما يدفعها لاسترداد مكانتها الاولى بين أرقى الأمم المعاصرة لو طودت العمل بما رسمته لها شريعتها من الاصول الاولى .

الدكتور (جوستاف لوبون) معذور في سلوكه هذا المسلك ، لانه كأكبر مفكرى القرن التاسع عشر منشعب من الفلسفة المادية التي لا تذهب الى ما وراء العالم المحسوس في سبيل تعليل أية ظاهرة من ظواهر الوجود المادى ؛ فلا يستطيع ، وهذه حالته النفسية ، أن يبحث في شيء إلا تحت هذا البصيص من ضوء الفلسفة المادية .

وقد تكلف أشياع هذه الفلسفة في تعليل وجود السموات والارض وجميع الكائنات التي تقع تحت سلطان المشاعر ، حتى العقل نفسه ، بعلم طبيعية ، كثير منها يوجب الأسف من ضعف العقلية الانسانية . فإذا سألت أحدهم ، كيف وجدت الالهامات التي عليها حياة الحضارات الضعيفة ، حتى هُديت الى أفعالها اليومية ، ووسائلها الحيوية ؟ أجابك بأنها تعودتها رويدا رويدا فرسخت فيها وصارت طبيعة لها . فان قلت له ، وكيف أمكنها أن تعيش وتضع بويضاتها ، وتحيطها بما يحفظ صفارها متى خرجت منها ، قبل أن تتعود وسائل حفظها ؟ سكّت ولم يجرب جوابا .

وإذا سألته لم طالت أيدي الظرافة وقصرت رجلاها ، وامتدت عنقها ؟ قال لأنها لما احتاجت لأكل أوراق الأشجار أخذت تشرئب ، وعلى طول الزمن حدث لها ما رأيت ؟ فإن قلت له ولم احتاجت لأكل الأوراق العليا دون سائر الحيوانات ، وكيف عاشت قبل أن تطول يداها وعنقها صمت ولم ينسكلم .

وهذا الدكتور (جوستاف لوبون) يجرى على هذه السنة في تحليل التطور الفجائي للقبائل العربية ، فإذا وجب عليه تفسير نهضة قامت بها غير منتظرة بزت في سرعة حدوثها وفي جلائل آثارها ، وفي انساع رقعتها كل ما سبقها من أمثالها ، عمد إلى انتحال كل علة كونية إن كانت لا توفى المتام حقه ، إلا القليل البائبة ، ذلك لأنه كالعدد الكثير من إخوانه لا يؤمن بما فوق الطبيعة من الفواعل العلوية .

ولما كنا بسبيل وضع سيرة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ترجم كتاب الدكتور جوستاف لوبون إلى العربية ، فنرى من مكملاتها أن تناقشه الحساب فيما ذهب إليه من تعليقاته الاجتماعية ، تفاديا من أن نعرض أكثر ما قررناه فيها للنقد . فإن كتاب الدكتور لوبون سوف ينتشر بين المسلمين ويقرأونه ، وسوف يفتقن كثير منهم بهرجة العلمى ، فيرون في البعثة المحمدية وفي آثارها العالمية رأيا ماديا بحثا ، فتفقد قضية الاسلام أقوى مستنداتها ، ويخرج قراؤه من كل ذلك بشبهة مستعصية لا مناص منها تتعلق بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم .

لذلك رأينا أن نتعقب نظريات الدكتور جوستاف لوبون في كل ما ذكره عن العرب الجاهليين وقبائلهم وعاداتهم ، وما زعمه من تالد مدنياتهم ، متبعين كل ما أتى به في هذا العدد من ظنون وخيالات ليصل من هذا الطريق إلى تحليل كل ما ظهر على أيديهم بعد إسلامهم من فتح الأفطار القاصية ، وحكم المقهورين بالعدالة ، والتقصى عن ينابيع المعارف ، وأخذهم بأوفر نصيب منها ، والعمل على نشرها وترقيتها الخ ، مما خلده ذكرهم في تاريخ الإنسانية ، وكان له أثر كبير في نزول أعداء الاسلام عن آرائهم السابقة فيه .

فهذا الفيض الأدبي كله الذى نعزوه نحن إلى بركات الاسلام ، ونعتبره من الدلائل الساطعة على أن قيم الوجود جعل لخاتم رسله آية عامة خالدة ، يحوله الدكتور جوستاف لوبون إلى ما كانت عليه النفس العربية من التطور الموروث ، فينقلب ذلك ، بحسن فية منه ، إلى أكبر شبهة لذلك نعد قراءنا يبحث هذا الموضوع بحثا يتفق وخطره ، والله يهدينا سواء السبيل .

محمد فريد وجدي

السنة

من أدب النبوة

عن عمر بن أبي سلمة رضى الله عنهما يقول : « كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يدى تطيش فى الصحيفة ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلام ، سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك . فما زالت تلك طعمتى بعد » رواه الشيخان .

المفردات

الغلام : الصبي من حين يولد الى أن يشب . وحجر الانسان بالفتح وقد يكسر نحره حنطته ؛ وهو فى حجره أى فى كنفه وحمايته . والصحفة : إناء كالقصة المنسوجة ، يشبع الخسة ونحوهم ، وقبل يشبع العشرة كالقصة سواء . وطيش اليد فيها : امتدادها فى نواحيها والطعمة بكسر الطاء : اسم لهيئة الأكل وصفته .

المعنى

من أجل ذكرى المولد النبوى الكريم ، أحببنا أن نذكر طرفا من تأديبه صلى الله عليه وسلم لربيبة الناشئ اليتيم : عمر بن أبي سلمة ؛ ذلك الذى حطى - وبإنا نعم ما حطى - بكفالة من آواه الله يتيما ، ونشأه كريما ، وآتاه خلقا عظيما ، وجعله بالمؤمنين رءوفا رحيمًا .

لا جرم أنه أسعد الأيتام حظا ، وأطعمهم عيشا ، وأوظفهم نصيبا ؛ وتلك دعوة أبيه ، تفتحت لها أبواب السماء ، وصبر أمه ، كافأه الله بخير الأزواج وأكرم الآباء . ولا عجب ، فإن لصالح البيوت آثاره الجليلة فى الأموات والأحياء . وما ظنك ببيت حاز شرف السبق فى العروبة والإسلام ، وكان من البيوتات القلائل إذا عدت بيوت الكرام ؟

مات صميد هذا البيت أبو سلمة رضى الله عنه ، لأربع سنين خلون من الهجرة ، متأثرا بجراحة أصابته فى غزوة أحد ، عن أربعة من الولد : تسمة ، وعمر ، ودرة ، وزينب .

وكان من السابقين الأولين من المهاجرين . وصحبته زوجته وابنة عمه (١) أم سلمة في هجرته إلى الحبشة . ثم تبعته إلى المدينة ، فكانت أسبق النساء إلى الهجرة . وكان آخر ما أوصاها به أن تبتغي الزوج الصالح من بعده .

وكان من دعائه لها : اللهم ارزق أم سلمة من بعدى رجلا خيرا مني ، لا يحزنها ولا يؤذيها . ومما حدثها به أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا عجبا . سمعه يقول : « ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمر الله به فيقول : إيا الله وإيا إليه راجعون ، اللهم أؤجرني في مصيبتى وعوضنى خيرا منها إلا استجره الله في مصيبتى وأخلف له خيرا منها » . قالت رضى الله عنها فلما مات أبو سلمة ، ذكرت الذى حدثنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاسترجعت وقلت : اللهم عندك أحسب مصيبتى هذه ، ولم تطب نفسى أن أقول : اللهم أخلف لى خيرا منها ؛ وقات أى المسلمين خيرا من أبى سلمة ؟ ثم إنى قلتها . قالت : فقد عاضنى الله خيرا من أبى سلمة ، وأرجو أن يكون الله قد أجرنى في مصيبتى (٢) .

ولما بلغ الكتاب أجله ، خطبها أبو بكر فردته ، ثم خطبها عمر فردته ، ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينها حجاب ، فقالت : أى رسول الله ، إنى امرأة قد أدبرت منى سنى وإنى أم أيتام ، وإنى شديدة الغيرة . فأجابها صلوات الله وسلامه عليه : أما ما ذكرت من سنك فأنا أكبر منك سنا ، وأما ما ذكرت من غيرتك فسادعوك الله أن يذهبها ، وأما ما ذكرت من أيتامك فإن الله يكفيهم ، فقالت لابنها سلمة : زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لو أن المجال يتسع لحجاج هؤلاء المارقين الذين يلقون في تعدد أزواج النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، جاهلين أو متجاهلين الحكم العالية والآداب السامية ، لحاججنهم حتى يصرع الحق الباطل ، ويكسح النور الظلام . . . ولكن حسبنا أن نقول لهم ، إن لم يُصَيِّمُوا آذَانَهُمْ : هذا أبو سلمة رضى الله عنه ، ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم (٣) وأخوه من الرضائع (٤) ومن السابقين الأولين الذى أبلوا في الاسلام بلاء حسنا ؛ وهذه زوجته أم سلمة ، البرة النقية ، الحصيفة العاقلة ، من السابقات الفضليات إسلاما وهجرة ، وجهادا ونصرة ؛ بلغ من وفائها لزوجها أنها لا ترى أحدا من المسلمين خيرا منه ، حتى ردت الصديق والفاروق ، خير الناس على وجه الأرض بعد النبيين ؛ وكادت ترد النبي صلوات الله وسلامه عليه ، لولا أن تداركها عناية الله ، وكتبت عنده من أمهات المؤمنين ؛ وهؤلاء أيتام أربعة طابوا أصولا وفروعاً ،

(١) حذيفة أحد المحاربين في سماء الجود ، كان إذا سافر لا يراقه أحد ومنه طعامه ، ومن ثمة لقبوه زاد الراكب : (٢) الأجر : الثواب ، وأجره الله من باب ضرب ونصر ، وأجره إيجارا : مثله . مختار .

(٣) برة بنت عبد المطلب كفى الاصابة والاستيعاب . (٤) أرضعتهما نوية - ولادة أبى لهب كفى

ونشئوا في بيت عز جانبه حيناً من الدهر ، ثم علت ذلة بفقد عمدته ، وتزميل ربته (١) .
أليس من المكارم المحموده ، أن يؤوى النبي صلى الله عليه وسلم هذا البيت إليه ، فيكون
لأخيه خير خلف لخير سلف ، ولأم ولده من بعده زوجاً كريماً ، ولهؤلاء الصبية الذين ذاقوا
مرارة اليتيم أبا رجباً ؟ تالله إن لم يكن هذا ديناً لقد كان خلقاً عظيماً . ومن أولى بهذا ممن
بعث لينتم مكارم الأخلاق ؟ ألا إن هذا قليل من كثير من الحكم التي يعرفها المنصفون
— بل الجاحدون — فيما أحل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم من أزواج .

وأراد النبي صلوات الله عليه أن يضرب المثل عملاً في تربية اليتيم ، وتنشئته على الفضائل ،
كي لا يكون على الأولياء حرج إذا نصحوه الله ورسوله ، وأدبوا اليتيم لمصلحته وخيره ،
لا يبتغون قهراً ، ولا يضمرون شراً ، فأرشد عمر وهو يأكل معه ولا يراعى أدب الأكل ،
إلى خلال ثلاث ، هن أهم آداب الطعام .

الأولى : أن يسمى الله تعالى ، طرداً للشيطان ، وجلباً للبركة ، وعوناً على النعمة ، وشكراً
لدى الجلال والإكرام .

الثانية : أن يأكل بيمينه ؛ فإن الأكل بها أعون في غالب الأمر وأمكن . واليمين مأخوذة
من اليمين وهو البركة ، فهي وما نسب إليها وما اشتق منها محمود لغة وشرعاً . ويكره الأكل
باليمن لأنها تعالج النجاسة والقذارة ، وقيل يحرم الأكل بها لما جاء في صحيح مسلم من حديث
سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يأكل بشماله ، فقال
كل بيمينك ، قال لا أستطيع ، قال لا استطعت ! فما رفعها إلى فيه بعد .

الثالثة : أن يأكل مما يليه ؛ لأن في أكله مما يلي جليسه سوء عشرة وترك مروءة ، لتقدر
النفس مما تخوض فيه الأيدي ولا سيما المائعات . وفي أكل المرء مما يليه بعث على القناعة
وحسن الأدب ، ومساعدة على إجادة المضغ ؛ ولهذا أكره الأكل في الهضم والانتفاع بالطعام .
وقد رخص كثير من العلماء في التمر والنوعاكه ونحوهما أن يتناول المرء من الموضع الذي
يشاء ، لأنه لا قدر حينئذ ولا استقذار . هذا ، وللطعام والشراب خصال أخرى كالحد
والاعتدال ، مبثوثة في كتب السنة والآداب ، ميسورة للراغبين في مكارم الأخلاق .

وفي الحديث منقبة كريمة لعمر رضي الله عنه ، إذ امتثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم ،
وتأدب بأدبه ، وسار على نهجه ، وتلك نعمة من الله تعالى عليه قابلها بالشكر والثناء ؟

ط محمد الداكست

المدرس بالأزهر

المشكلة الفلسفية العظمى

التأليه العقلي

- ٢١ -

المظهر النفسى لفكرة الألوهية

تمهيد:

الآن وبعد أن عرضنا فى الفصول السابقة فكرة الألوهية من خلال مظهرها الاجتماعى والفلسفى ، فقد كان لزاما علينا أن نلم بها فى مظهرها الثالث وهو المظهر النفسى ، وينبغى أن نلمع بآدى ذى بدء الى أن الألوهية تبدو من ثنايا هذا المظهر كأنها تمثل — كما أشرنا الى ذلك سابقا — إلهاً لا يحد بانقول الشارح المؤسس على الحجج المنطقية ، والمدعم بالأسانيد الفكرية ، وإنما هو يتجلى فى نفوس المتفكرين تجليات فردية خاصة تشعر كل واحد منهم على حدة وفى داخل روحانيته الشخصية بذلك الوجود النورانى الباهر الذى يشع فى داخل النفس فيغمرها فى حالة غير عادية لا تتمشى مع أساليب العقل السائدة فى النوع السالف .

ومن هذا التصوير الخاص الذى يتباين مع تصوير المظهرين الأول والثانى لفكرة الألوهية يبين أن أول ما يجب على الباحث فى هذا الصدد هو إيضاح العلائق بين هذا المظهر وسالفه ، وينحصر ذلك فى نقطتين : أولاهما : كيف أنه يمتاز عما عداه ، وثانيتهما : كيف أن التقاليد الدينية أيا كان نوعها قد أثرت فى التنسك تأثيرا بارزا ، وإليك البيان :

(١) مميزات المظهر النفسى :

يمتاز هذا المظهر عن المظهرين الاجتماعى والفلسفى بعدة ميزات جوهرية ، من أهمها ما يلى :

(١) إن الإله الذى يشمر المتفكر بوجوده فى دوائى أنفسهم ، ويجزمون بأن قلوبهم على أتم اتحاد به تناجيه على ممر اللحظات ، هو إله دائم الاتصال وانفصال ، وهو بهذا يختلف مع الإله الذى يحزم الفلاسفة بأنه فى اسمى آواج التجرد ، وأن تديره هذا العالم لا يحول دون أن يكون منه على أتم اتصال . ومما يطبع هذه الميزة النفسكية بطابع خاص هو الإيلاح على محو كل رمز حمى وإزالة ما عسى أن يعلق بالأذهان من قيم للمحسوسات من جهة ، وتقرير وجود الاتصال المباشر بين الروح البشرية وبين جوهر الموجودات . والمتنسك بهذا التقرير

لا يرى أنه أقل إحاطة وإدراكاً للألوهية من الفيلسوف ، وإنما هو على العكس من ذلك يعتقد أنه أكثر منه إحاطة وأوسع معرفة ، ولكن هذه المعرفة لا تنال بالعقل والتدليل ، ولا يتوصل إليها بالأقيسة المنطقية ، وإنما تنبثق من لدن الاتحاد المفعم بالحب ويتلقاها المتحد بالذات الإلهية تلقياً مباشراً لا عن طريق الأسانذة أو الموقفين . وفي هذا يقول باسكال : « إن الإله هو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، لا إله الفلاسفة والعلماء » . ومعنى هذا — فيما يرى الأستاذ « بلونديل » في رسالته إلى الأستاذ لالاند — أن إله إبراهيم هو الموجود الخفي الخير الذي يوحى إلى البشر شيئاً من كماله التي لا يسبر غورها ، والتي لا يمكن أن تدرك بالعقل وحده ، والتي ليس مبدأ الحكمة نجاحها إلا رهبة وتواضعاً ، ولكن هذا الإله ، بإحائه أسراره إلى الإنسان ، هو في الوقت ذاته يدعو إلى الأخذ بنصيب من ألوهيته نفسها ، وإلى تغيير منزلته التي هي بالطبع منزلة العبودية المخلوقة واستبدالها بنوع من الصداقة أو التبني الما وراء الطبيعي ، وهو يأمره أن يحبه لأن الإله لا يمنح ذاته إلا لمن يمنحه كليته .

أما إله الفلاسفة والعلماء فهو موجود العقل الذي يدرك أو يفترض بمنهج فكري ، والذي يعتبر كبداً للإيضاح أو للكينونة ، والذي يزعم الإنسان ، في غرور ، أنه يحده بل بعمله يفعل كأنه — في تمثله إياه — شيء يمكن الاستيلاء عليه . والفكرة الأساسية من هذا هي أن الإنسان يعتبر الإله كأنه وثني لو أنه حصره في جعله إياه موضوعاً للمعرفة فحسب ولم يحتفظ له بعمله الجوهرى الخاص به في تبادلته معنا العلاقات التي توحدنا به . ولا جرم أن إله إبراهيم هو في الوقت ذاته السر الحى الذي يبدو ويتمثل في الوحي ، وهو الذي ينتقل عن طريق الروايات الدينية ، والذي يتقرب من الإنسان أو يقربه إليه بوساطة العهد الذي يدعو إليه ، وهو الذي يعمده بالحب ويطلبه منه في التبني الإلهي .

(٢) إن هذه الفكرة الباطنية التي يرسمها المتفككون للألوهية قد تتعارض أشد التعارض مع الفكرة الدينية التي ترونها التقاليد للتأليه ، فن ذلك مثلاً ما يحدثنا به كتاب « التقيل بالمسيح » وهو أسمى وأشهر كتاب في التنسك المسيحي ، إذ يقول : « لا يكلمني موسى ولا أى نبي من أنبيائك ، ولكن تكلم أنت يا مولاي ، يا إلهي الملهم والمنير لجميع الأنبياء ، لأنك — منفرداً وبدونهم — تستطيع أن تعلمنى أكل تعليم ، ولأنهم بدونك لا يستطيعون شيئاً . نعم إنهم يستطيعون أن يسمعوا غيرهم كلمات ولكنهم لا يمنحونهم روحها ، أى إنهم يعملون حرفيتها ، ولكنك أنت تكشف معانيها » (١) .

(٣) إن أكثر علماء النفس — كما يلاحظ الأستاذ ديلاكروا (٢) — قد اتفقوا على أن أعظم

[1] Imitation de Jésus - christ - bire III chapitre 2.

[2] Dclacroix - les grands mystiques chrétiens.

أفذاذا المتنسكين لم يهتموا بالنظريات أو بالتعاليم الدينية الظاهرة إلا اهتماما عرضيا، لأن أحوالهم الباطنية لا يمكن أن تتابع تلك التعاليم والتأويلات البشرية التي تنصب عليها في تفاصيلها التي إذا قاسوها بأحاسيسهم النفسية بدت لهم فائرة كأنها مفقودة الحياة.

(٤) إن الديانات عند ما تصل إلى أرقى آواج كالاتها — فيما يرى العالم النفسى الفرنسى الكبير الأستاذ ريبو — يوجد فيها حتما ذلك التعارض الصريح بين المذهبية المحددة الصلبة التي تمتاز بوضع قواعد عامة يخضع لها كل المؤمنين على السواء بدون تمييز ولا تفرق وبين التنسك (١).

ونحن لا نجد عمرا في الميل إلى رأى الأستاذ ريبو، لأننا إذا نظرنا في المسيحية الغربية على الأخص نظرة فاحصة ألفينا الخلاف بين المتتمذهين والمتنسكين من أتباعها قد بلغ من السعة والأهمية حدا جعل مؤرخى الحركة العقلية المحدثين على أفراد فصول خاصة من كتبهم لا يوضح تلك المعارضات التي اشتعل أوارها بين الفريقين في العصور الوسطى وفي عهد النهضة وفي العصر الحديث ودفعتهم إلى الموازنة بين آراء كل تلك الطوائف موازنة علمية دقيقة تسمح للباحثين بالحكم والترجيح. وإذا أغضينا عن المسيحية ونظرنا إلى العصور الإسلامية هالتنا تلك المعارك الحامية الوطيس التي احتدمت بين الظاهريين والباطنيين، أو بين الشريعة والحقيقة على حد تعبير المتنسكين من المسلمين، ولو أن لهذه المعامع العقلية النظرية من جهة، والبصيرية الاشرافية من جهة أخرى مجالا غير هذا الجمال ينمر به في حينه؟ « يتبع »

الدكتور محمد غنوب

أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهرية

مكاتبة بين صحابين

قال ابن المبارك : كتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء :

أما بعد فإنك لن تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهى ، ولن تنال ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره ، فليكن كلامك ذكرا ، وصمتك فكرا ، ونظرك هبرا ، فإن الدنيا تنقلب ، وبهجتها تنغير ، فلا تغتر بها وليكن بيتك المسجد ، والسلام .

فأجاب أبو الدرداء :

السلام عليك ، أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله ، وأن تأخذ من صحبتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن حياتك لموتك ، ومن جفائك لمودتك ، واذكر حياة لا موت فيها في إحدى المنزلتين ، إما في الجنة وإما في النار ، فأنت لا تدري إلى أيهما نصير .

[1] Ribot - Psychologic des sentiments page 321.

حياة خلائفة الإسلام

خالد بن الوليد

- ٢٥ -

دولة الفرس بعد العرب :

لم يكن خالد بن الوليد يفرغ من نصر يتوج به هجمات الجيوش الاسلامية إلا ليستقبله نصر أعظم وأروع ، ولم يكن الفرس يفيقون من غمرة هزيمة إلا ليتقدموا أمام البطل المظفر الى هزيمة أنكر وأوجع ، وها هي ذه أخبار الانتصارات الاسلامية المتوالية تتراعى الى مرزبان « الحيرة » عاصمة الفرس في العراق ، وقد أصبحت الجيوش المسلحة منه على قيد وثبة خالدية ، فيتهيباً ويستعد ما وسعه التهيب والاستعداد .

حمل خالد رضى الله عنه الرجال والآقال في السفن وسيرها في نهر الفرات ، وخرج يقود الخيل ، وكان المرزبان قد خرج بجيوشه حتى عسكر خارج الحيرة ، وأمر ابنه أن يتقدمه فيسد الفرات ليفجر الماء الى الأنهار حتى تقف سفن المسلمين ، وقد تمت له هذه الخديعة وجنحت سفن الاسلام وبقيت على الارض ، فارتاع المسلمون ، وقال الملاحون : إن أهل فارس فجروا الأنهار فسلك الماء غير طريقه ، فلا يأتينا الماء إلا بسد الأنهار . فاعصى المسلمون أن يفعلوا في هذه المفاجأة التي لم يكن لهم بمثلها عملهم لفقة من لفقات العبقرية الخالدية وموقف من مواقف سيف الله كفيل بتفريج هذه الأزمة السانحة ، فبالرضى الله عنه سواء العبقرية في البديهة والريث ، فلم يترك الفرصة تفلت من يده ، ولم يطل على المسلمين التفكير والنماس ، ولكنه سرع ما انفلت في كتيبة من الخيل نحو ابن المرزبان الذي فجر الماء ، فيلقى خيلاً من خيل الفرس تغط في نوم الأمان ، لأنه لم يدر في خلدكم أن قائد المسلمين يثب عليهم في هذه الساعة ، ولم تكن إلا جولة حتى قضى عليهم ، وتقدم قبل الأخبار حتى لقي ابن المرزبان مع جيشه على فم فرات بادقلى ، فالتحم الفريقان في قتال شديد انجلى عن انقراط عقد الفرس في هزيمة أتت عليهم ، وفجر المسلمون الماء وسدوا الأنهار ، وسارت سفنهم بسم الله بحريها ومرساها مبعدة الحيرة ، وسار إليها خالد بمن معه من فرسان المسلمين حتى نزل منزلاً بين الخورنق والنجف ، وكان المرزبان قد بلغه ما نزل بابنه وجيشه من القتل والهزيمة فخارت

قوته وضعفت عزيمته ، ولم يقو على لقاء جيوش الاسلام المظفورة وفر هاربا من غير قتال لا يلوى على شيء ، وزاد في رعبه وفشله موت أردشير ملك فارس ، واختلاف أهل مملكته فيمن يولونه عليهم مكانه .

تحصن أهل الحيرة في قصورهم ، وأقيم خالد خيله في الحيرة وأجالها في عرصاتها ، ثم أمر بضرب الحصار عليهم ، وأمر بكل قصر قائدا من قواده على رأس كتيبة من جند الاسلام ، فكان ضرار بن الأزور محاصرا القصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصة الطائي ، وكان ضرار بن الخطاب على قصر المدسين وفيه عدي بن عدي قتيل المنذر ، وكان ضرار بن مقرن المزني محاصرا قصر بني مازن وفيه جيري بن أكال ، وكان المنثى بن حارثة الشيباني محاصرا قصر ابن بقله وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بقله ، وعهد خالد الى قواده أن يبدؤوا أهل القصور بالدعاء الى الاسلام ، فإن أجابوا قبلوا منهم ، وإن أبوا أجلوم يوما واحدا ، وقال لهم : لا تمكنوا عدوكم من آذانكم ، فيتربصوا بكم الدوائر ، ولكن ناجزوم ، ولا تردوا المسلمين عن قتال عدوهم ، وكان أول قائد أنشب القتال بعد الأجل المضروب ضرار بن الأزور ، دما أهل القصر الأبيض الى إحدى ثلاث : الاسلام ، أو الجزية ، أو المنابذة ، فاختاروا المنابذة ، ورشقوا المسلمين بالنبل ، فقاتلهم وأكثروا فيهم القتل ، واقتحموا عليهم الدور والأديار ، فصاح أهل الأديار من القيسيين والرهبان : يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم ! فنادى أهل القصور يا معشر العرب ! قد قبلنا واحدة من ثلاث فكففوا عنا حتى تبلغونا خالدا ! فأرسلوا إليه ، وكان يخلو بأهل كل قصر منهم ، وبدأ بأصحاب عدي بن عدي فقال لهم : ويحكم ! ما أنتم ؟ أعرب ، فما تنقمون من العرب ؟ أو عجم فما تنقمون من الانصاف والعدل ؟ فقال عدي : بل عرب طارية ، وأخرى متعربة ، فقال خالد : لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا ، فقال عدي : ليد لك على ما تقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية . ثم قال خالد رضى الله عنه : اختاروا واحدة من ثلاث : أن تدخلوا في ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم وإن أقمت في دياركم ، أو الجزية ، أو المنابذة والمناجزة ، فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة ، فقال عدي : بل نعطيك الجزية ، فقال خالد : تبأ لكم ، ويحكم ! إن الكفر فلاة مضلة فأحق العرب من سلسكها ! فلقية دليان أحدهما عربي فتركة واستدل الأعجمي ، فصالحوه على تسعين ومائتي ألف وأهدوا له الهدايا ، فأرسلها مع البشري بالفتح الى أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، فقبلها أبو بكر على أن تكون من الجزية ، وكتب الى خالد : أن احسب لهم هديتهم من الجزاء ، وخذ بقية ما عليهم فقوم به أصحابك .

هنا يجمل بنا أن نقف قليلا إلى جانب هذه المفاوضة بين بطل الاسلام خالد ، ومتكلم أهل الحيرة هدي ، فسنجد فيها من دلائل العبقرية الخالدية ، وآيات العدل الاسلامي ما يرشدنا الى

كثير من أسباب تيسير فتح هذه الممالك الضخمة على المسلمين في زمن وجيز مع قلة العدد والأهبة الحربية بالقياس إلى أعدائهم .

والقارىء المتأمل يحس أول شيء حين يقرأ حديث هذه المفاوضة ، وما انتهت إليه ، تلك السياسة الحاذقة التي ساس بها قائد الاسلام خالد بن الوليد الموقف في بدء لقاء وفود القوم بعد إحكام الحصار والتضييق عليهم ، فهو لا يلقيهم جميعاً لقاء المنتصر المغتر ، ولكنه يلتقي أهل كل قصر وحدم ، ويرى أول وفودهم بهذا السهم النافذ إلى حميتهم العنصرية ، ليوقظ فيهم روح الكرامة والاعتداد ، وليثيرهم ضد هذا الاستعباد الفارسي المضروب عليهم ، فقال مجبها : ما أنتم ؟ أعرب ! فما تنقمون منا ، ونحن إخوانكم في العروبة بجمعنا وإياكم روابط الدم واللسان ، والوطن ووشائج الحياة ، فنحن أحق بالوحدة معكم من هؤلاء الفرس الذين يدفعون في ظهوركم لتلقوا المنايا على أيدي إخوانكم ؟ وإن كنتم غير عرب ، فما تنقمون منا ، وقد جئناكم ناشرين رايات العدل والأخاء الانساني ، لا يزيد استعباد أحد ، ولا استعمار بلد ، وإنما نبغى إنقاذكم من الاستبداد بكم ، والظلم الذي أهدر إنسانيتكم ، وزيد إشعاركم بالعدالة الاجتماعية التي هي حق من حقوقكم ، فإن دخلتم معنا في ديننا ، فأنتم إخواننا ونحن وأنتم على سواء ، لكم من الحقوق في خربة العيش والتمتع بشمرات الحياة مثل ماننا ، وعليكم من الواجبات نحو خالقكم ونحو إخوانكم في الانسانية مثل ما علينا ، فلا سيد ولا مسود ، ولكنه إخوان لا يفضل فيه الأخ أخاه إلا بفضل عقله وعلمه وعمله ، لا بهيبتكم فنطلب اليكم الهجرة من بلدكم ، ولا نتحكم فيكم فنحنم عليكم الإقامة في دياركم ، وإن أبيتم إلا العكوف على دينكم وحالكم مع السلم والأمان فلنا عليكم حق حمايتكم والدود عنكم : جزية تؤخذ منكم على قدر سمعتكم وطاقتكم ، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، فإن عجزنا عن أداء حقوقكم فلا جزية لنا عليكم وأمركم مردود عليكم ... وهذا منتهى ما يطلب من أمة تريد السلام قائماً على قواعد من العدل والحق ، وليس بعد ذلك إلا السيف في غير هوادة ، وهنا يبرز خالد القائد الحربي ليقذف بهذه الرمية المصمية حتى لا يترك لمعارضيه مجالاً في خديعة ، أو أملاً في نجاة إذا اختاروا لأنفسهم : « فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة » .

رضى القوم بالجزية فلم ينهل لها وجه القائد العظيم ، لأن المسلمين الأولين ما كانوا في السياحهم في الأرض يبعثون الدنيا وزخرفها ، فهم أبناء الشظف والزهادة ، ولكنهم كانوا يبعثون تخليص الانسانية من أغلال الشرك البليد ، وتطهيرها من أوضار الوثنية المهيمنة ، ونشر المساواة والعدل بين أبناء البشر ، فكان دخول الأمم في دين الاسلام أحب إليهم من أنفسهم وأموالهم ؛ لذلك قال بطل الاسلام خالد رضي الله عنه لعدى كلمته الأخيرة في أسف وإشفاق على مقاتلهم من خير وهداية على أيدي إخوانهم وبنى أبيهم من العرب المسلمين . ثم ليتأصل

القارى* في صنيع خليفة المسلمين أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد بعث له قائد جيوشه ببشرى الفتح وهدايا المغلوبين ، فلم يرض الخليفة بهذه الهدايا تحت هذا العنوان من قوم مقهورين مغلوبين ، ولكنهم رضوها حقاً واجبا فيما عاهدوا عليه القائد العظيم ، فكتب إليه أن احسب لهم هديتهم من جزيتهم . فهل يتصور المتشدقون (بالديمقراطية) في هذا العصر المضطرب وهم ينشدون العدل والأمن والسلام عدلاً فوق عدل المسلمين الأولين وخلفائهم الراشدين؟ ليت قادة العالم وزعماء الدول الكبرى يقرءون دستور الإسلام في القرآن الكريم وسيرة رجال الإسلام ليعلموا - إن كانوا صادقين - على أى أساس يجب أن تقوم العدالة الاجتماعية في الأرض ، وعلى أى أساس يتحقق الأخاء والتعاون بين الأمم !

صالح خالد رضى الله عنه القوم وكتب لهم عهداً سهلاً فيه مبدأ الإسلام في تحديد العلاقة بين الغالب والمغلوب ، والقوى والضعيف ، فقال « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد ، عدياً وعمرأ ابني عدى ، وعمر بن عبد المسيح ، وإياس بن قبيصة ، وجيرى ابن أكال ، وهم نقباء أهل الحيرة ، ورضى بذلك أهل الحيرة ، وأمروهم به ، فاهداهم على تسعين ومائتي ألف درهم ، تقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا رهبانهم وقسيسهم إلا من كان منهم على غير ذى بد حببنا عن الدنيا ناركاً لها ، وعلى المنعة ، فإن لم يمنعمهم فلا شيء عليهم حتى يمنعمهم ، وإن غدروا بفعل أو بقول فالذمة منهم بريئة »

صادق إبراهيم عربزور

خرق للأجماع محمود

قال أبو هريرة : كره الناس ثلاثاً وأحببتهم : كرهوا المرض وأحببتهم ، وكرهوا الموت وأحببتهم .

وقال عبد الأعلى بن حماد : دخلنا على بشر بن منصور وشو في الموت ، وإذا هو من السرور في أمر عظيم . فقلنا له ما هذا السرور ؟ قال : سبحان الله ! أخرج من بين الظالمين والחסادين والمغتائبين والباغين ، وأقدم على أرحم الراحمين ، أفلا أسر ؟

ودخل الوليد بن عبد الملك المسجد فخرج كل من كان فيه إلا شيخاً قد حناه السكر ، فأرادوا أن يخرجوه . فأشار إليهم أن دعوا الشيخ ، ثم مضى حتى وقف عليه . وقال له : يا شيخ تحب الموت ؟ قال لا يا أمير المؤمنين : ذهب الشباب وشره ، وأتى السكر وخيره ، فإذا قت حمدت الله ، وإذا قعدت ذكرته ، فانا أحب أن تدوم لى هاتان الخلتان .

لغويات

استدراك

نقلت في مبحث « عبد الجواد » بيتين عن المستطرف ، في الشطر الأخير منهما :
 وارجُ فرض المقسم الجواد .

وقد كتب الى الأستاذ الشيخ على حسن المدرس بمعهد القاهرة مشكورا ، يذكر أنه رأى
 هذا الشعر في أشعار عمران بن حطان ، وليس فيه الجواد ، بل المواد .

وقد وجدت حقا هذا الخبر في الأظاني في ترجمة عمران بن حطان . فقد وقف على الفرزدق
 وهو ينهد والناس حوله فاستمع اليه ، ثم قال :

أيها المادح العباد ليُعطى إن لله ما بأيدي العباد
 فاسأل الله ما طلبت اليهم وارج فضل المقسم المواد
 لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسم البخیل باسم الجواد
 فقال الفرزدق : لولا أن الله شغل عنا هذا برايه للقيينا منه شرا .

٣٧ - هذا عالم كل العالم : كاميون علوم مدرسي

رأيت هذا الأسلوب في كتابة بعض الكتاب الممنازين . ففي مجلة الكاتب المصري (عدد ٢
 ص ٢٧٦) : « نحرص دائما على أن تؤدي مهمتها في أمانة كل الأمانة ، ووفاء كل الوفاء » . والمعروف
 أن كلا في هذا نعت يؤدي معنى الكمال ، فهو يطابق موصوفه في التعريف والتشكير ، فيقال :
 « همّ الرجل كل الرجل ، وعمر سياسي كل سياسي » كما يقال : « جد الرجل ، وجد رجل » . فالذي
 ينبغى في عبارة الكاتب المصري : في أمانة كل أمانة ، ووفاء كل وفاء . وسأسوق الى القارئ
 الكريم نصّين في هذه المسألة :

قال ابن مالك في شرح الكافية (١) : « ثم أشرت الى أن كلا وحقا وجدًا ينعت بها دالة على
 معنى كامل ، بشرط إضافتها الى مثل المنعوت بها لفظا ومعنى ؛ كقولك : زيد الرجل كل الرجل ،
 والعالم حق العالم ، والكريم جد الكريم » .

وقال صاحب المغنى في ترجمة كل : « فأحدها (أي أحد أحوال كل) أن تكون نعنا لذكره
 أو معرفة ، فتدل على كماله . وتجب إضافتها الى اسم ظاهر يمثله لفظا ومعنى ؛ نحو أطمعنا شاة
 كل شاة ، وقوله :

وإن الذى حانت بفعلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد.

وقال الأمير فى حاشيته : « قوله : فتدل على كماله ، أى فى جنسه ، فكل مؤولة بالمشتق ، أى الكامل ، فمن ثم وقعت معنا » .

وقول الشاعر : « الذى » يريد الفريق ، فلذلك أفرد الموصول ، كما قيل فى قوله تعالى : « ولا تكونوا أول كافرين » أى أول فريق كافر ، وكما قيل فى قوله « وخضتم كالذى خاضوا » . وقد قيل : إن الأصل الذين ، لحذفت النون اختصارا كما تحذف فى جمع الذكور كما فى قوله تعالى فى قراءة : « والمقيمى الصلاة » بنصب الصلاة .

٣٨ - أحمد عالم وأى عالم :

وهذا أيضا أسلوب يجرى على السنة كتاب العصر . فى مجلة الكتاب (العدد الأول ص ٦٤) : « ولقد كان للكتاب شأن وأى شأن » . وفى مجلة الكاتب المصرى (العدد ٣ ص ٤٢١) : « وللكتاب والنقاد فى هذا الشأن فضل وأى فضل » .

والقريب الى الفهم فى هذا أن يكون أى نعتا لما قبله ، وعلى ذلك فالواجب تجريدتها من الواو ، فيقال : أحمد عالم أى عالم ، وللكتاب شأن أى شأن ، وللكتاب والنقاد فضل أى فضل . وأى هنا تدل على الكمال ككل فى الأسلوب السابق ، غير أن أيا هذه لا تضاف إلا الى نكرة ، ومن ثم إذا وقعت بعد معرفة كانت حالا كما روى بالنصب قوله :

فأومات إيماء خفيا لحببتر فله عينا حبتر أيما فتى (١)

وقد يقول قائل فى هذا المقام : مالنا لا نتبع الزمخشري الذى يميز قرن الصفة بالواو فاصلة بينها وبين موصوفها ، وقد قضى الزمخشري بذلك فى نحو قوله تعالى : « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » فجمله (ولها كتاب معلوم) صفة لقرية عنده وهى مقرونة بالواو كما ترى ؟

فأقول : إن هذا لا يكون فى النعت إلا إذا كان جملة كما فى الآية السابقة ، وكما فى قوله تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » ، وكما فى قول عروة بن الورد :

فيالآناس ! كيف غلبت نفمى على شئ ويكرهه ضميرى !

فأما إذا كان النعت مفردا ، وهو ما فى أسلوبنا ، فإن أحدا لا يميز فيه ذلك فيما علمت . ويرى غير الزمخشري ومن قلده فى الجمل السابقة التى قرنت بالواو أنها أحوال . وسوغ مجيء الحال من النكرة عندئذ أن تكون أحوالا .

(١) انظر فى هذا البيت مقالنا المنشور فى هذه المجلة (الجزء الثانى من المجلد السادس عشر ص ٨٣)

وقد بنيت كلامي السابق في نقد هذا الأسلوب على ما هو المتبادر كما أسلفت .
ويبدو لي احتمال يصح عليه الكلام ؛ وهو أن يكون أى رجل في قولك : أحمد رجل
وأى رجل ، من جملة أخرى غير الأولى ، والأصل : وأى رجل هو ، وعلى هذا تكون أى
مرفوعة أبدا . وقد روى البيت السابق : فله عينا حبت أيماء فتى ، رفع أى ، أى أى فتى هو .
وهذه رواية الكتاب .

وهنا ينجم بحث آخر من قبل الفصل والوصل ، إذ يكون الكلام جملتين في الأمثلة
السابقة ، الأولى خبرية والثانية إنشائية تعجبية ، وهما ما هما في التنافر ، ويوجب علماء البلاغة
الفصل في هذا ، وعليه جاء البيت الذي أوردته :

٣٩ — سرعان ذا إهالة :

ورد هذا المثل في شرح الأشموني على الألفية ، في مبحث التمييز . وقد شرحه الصبان
فقال : « سرعان — بثلاث السين والبناء على الفتح — اسم فعل ماض أى سرع ، وذا فاعل ،
وإهالة تمييز محمول عن الفاعل ، أى إخافة وإفزاعا ، ويجوز جملة بمعنى اسم الفاعل حالا . قال
في القاموس : وأصله (أى أصل هذا المثل) أن رجلا كانت له نعجة عجفاء ، ورغامها — وهو
مخاط الأنف في الخيل والشاء . وتراه بالغين المعجمة ، وهو لغة في الرغام بالعين المهملة ، وقد
أنكر بعض اللغويين في هذا الرغام ، وأوجب الرغام — يسيل من منخريها طزاهها ، فقيل
له : ما هذا ؟ فقال : وذكرها . فقال السائل ذلك . ونصب إهالة على الحال ، أى سرع هذا الرغام
حال كونه إهالة ، أو تمييز كقولهم : تصيب زيد عرقا . وهو مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء
قبل وقته . ويقول الأنبا في تقريره : « قوله : حال كونه إهالة ، أى حال كونه مهिला أى
مخيفا لصاحبها ؛ لأن زول الرغام دليل على موتها ، فكأنه يخبر بحصول الموت . وذلك الأخبار
حاصل قبل موتها بالفعل . فظهر قوله : هو مثل الخ . كذا سمعته من بعض مشايخنا . وتري
أن الصبان والأنباي اتفقا على تفسير الإهالة بالإخافة والإفزاع . ولم تر هذا في اللغة ، ولا يقال
شيء مهيل ، وإنما يقال : هائل أو مهول .

والذي غر الشيخين الجليلين هو سبق المعنى إلى الذهن وغلبته ، ولو ألقيا بالآل إلى المحاورة
لفهما أن الإهالة هي الودك أى الشحم . فإن صاحب الشاة يقول عن الرغام إنه ودك . فيقول
الآخر متعكبا به : ما أسرع أن يكون هذا إهالة وودكا ! وبين الرغام والودك ما لا يسوغ هذا
الانقلاب السريع ؛ فإن الرغام أمانة الهزال وآيته ، والودك آية السمن والخصب .

والإهالة فعالة في وزنها ، ويقول اللغويون في تفسيرها : هي ما أذيب من الشحم ، أو هي
الشحم والزيت ، أو هي كل ما يؤتدم به . ويقال لما علا القدر من اللحم السمين إهالة .

وفي اللسان في بيان أصل هذا المثل أن رجلا كان يحسق — أى ينسب إلى الحق — اشترى
شاة عجفاء يسيل رغامها هزالا وسوء حال ، فظن أنه ودك . فقال : سرعان ذا إهالة ؟

حديث كنت كنزاً مخفياً لا أصل له

كنت في حفل يضم جماعة من العلماء والأدباء في إحدى مدن فلسطين ، فسألني أحدهم عن حديث « كنت كنزاً مخفياً » الخ ، فأجبت أنه هذا الحديث لا أصل له وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنبرى أحد الحضور معترضاً على ذلك محاولاً إثباته ، فطالبته بمستنده فاستحضرت الجزء الأول من مجلة الأزهر الصادر في المحرم سنة ١٣٦٥ ، فقد جاء في مقال الأستاذ سعيد زابد المنشور فيه ص ٣٠ ، ٣١ في معرض رده على الحلوليين ما نصه « ويستدلون على ذلك بالحديث القدسي « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف نخلقت الخلق في عرفوني » . ولما كان هذا الحديث باطلاً لا أصل له وليس هو من كلام رسول الله عليه صلوات الله ، وإن كان قد اشتهر على الألسنة حتى أصبح كثيرون من المسلمين ليس العامة بل فريق كبير من الخاصة والمتعلمين يجزمون بثبوته ولا يرتابون في صحة نسبته للرسول الكريم ، رأيت من واجبي الديني والعلمي أن أكتب هذه الكلمة في بيان بطلانه وما قاله في ذلك حفاظ الحديث المحققون خدمة للدين ومنعاً لا عراض الجاهلين ، فأقول متوكلاً على الله رب العالمين :

١ — قال الحافظ عبد الرحمن بن الديبع الشيباني في كتابه تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على الألسنة من الحديث ص ١٢١ ما نصه :

« حديث : كنت كنزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف نخلقت خلقاً فمرفقهم فمرفوني » قال ابن تيمية : إنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف ، وتبعه الزركشي وابن حجر .

٢ — وقال العلامة المحدث اسماعيل العجلوني الدمشقي في كتابه كشف الخفاء ج ٢ ص ١٣٢ الحديث رقم ٢٠١٦ « كنت كنزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف نخلقت خلقاً فمرفقهم في فمرفوني » وفي لفظ فنعرفت اليهم في عرفوني » قال ابن تيمية ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللاكئ والسيوطي وغيرهم .

٣ — ورواه السيوطي في كتابه الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ص ١٩٥ وقال « لا أصل له » .

٤ — وذكره الشيخ علي القاري الحنفي في كتاب الأحاديث الموضوعات ص ٦٢ ناقلاً

عن جماعة من المحدثين أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وإيراده في الموضوعات كاف في رده وبطلان الاستدلال به .

٥ — ونقله الشيخ محمد بن درويش الحوت البيروتي الشامي في كتابه أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ص ١٧٠ جازما ببطلانه وأنه ليس من كلام رسول الله عليه السلام ثم قال ما نصه « وهذا يذكره المتصوفة في الأحاديث القدسية تساهلا » .

٦ — وقال العلامة الألوسي البغدادي في تفسير سورة الذاريات ج ٢٧ ص ١٨ من تفسيره الكبير ما نصه « وقد جاء كنت كثرًا مخفيا فأنصببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرفه » ونعقب بأن المعرفة الصحيحة لم تتحقق في كل بل بعض قد أنكر وجوده عز وجل كالطبيعيين اليوم ، ثم ألحظ بهذا اللفظ ذكره سعد الدين الفرغاني في منتهى المدارك وذكره غيره كالشيخ الأكبر « محيى الدين بن عربي » في الباب المائة والثمانية والتسعين من الفتوحات المكية بلفظ آخر ونعقبه الحفاظ فقال ابن تيمية : إنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف ، وكذا قال الزركشي والحافظ ابن حجر وغيرهما ، ومن يرويه من الصوفية معترف بعدم ثبوته نقلا لكن يقول إنه ثابت كشفاً ، وقد نص على ذلك الشيخ الأكبر قدس سره في الباب المذكور ، والتصحيح الكشفي شنيعة لهم » .

٧ — قال الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي في كتابه قواعد التحديث في البابين الثالث عشر والرابع عشر ص ١٦٦ و ١٦٧ ما نصه :

« بيان أنه لا عبرة بالأحاديث المنقولة في كتب الفقه والتصوف ما لم يظهر سندها وإن كان مصنفها جليلا . والرد على من يزعم تصحيح بعض الأحاديث بالكشف بأن مدار الصحة على السند » .

ثم نقل عن فتاوى العلامة الشيخ عليش في جواب سؤال عن حديث « يس لما قرئت له » الذي ادعى أصحاب الشيخ اسماعيل البني ثبوته ما نصه :

« الحمد لله ، من المعلوم لكل أحد أن الأحاديث لا تثبت إلا بالأسانيد لا بنحو الكشف وأنوار القلوب كما نقله الشمراني عن جماعة سيدي اسماعيل البني إن كان المراد صحة اللفظ كما فهم المفتي توقف الأمر على السند وإلزام القول على قائله كائنا من كان ، ودين الله لا محاباة فيه ، والولاية والكرامات لا دخل لها هنا إنما المرجع للحفاظ العارفين بهذا الشأن ، والحديث عندهم متفق على أنه لا أصل له » .

والله الهادي إلى سواء السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

القدس - المسجد الأقصى

محمد صبري عابد بن

مراقب الشؤون الدينية بالمجلس الاسلامي الأعلى سابقا

ومدرس بالمسجد الأقصى

بحث في مقارنة القوانين الوضعية

بالشريعة الإسلامية الفراء

— ٢ —

التعويض عن المدول عن الخطبة في الشريعة الإسلامية

رأينا مما سبق أن مذهب الحنفية كما يؤخذ منه أن لا تعويض عن فسخ الخطبة، وقد اطلعنا على رأى لفضيلة المرحوم أستاذنا الكبير الشيخ أحمد بك إبراهيم يميل فيه إلى الأخذ بمبدأ التعويض تمهيداً مع قواعد والتزامات العادة والتزامات العدة على مذهب الإمام مالك. ولا بأس من أن نأتى بالفقرات المتعلقة بهذا الموضوع من كتابه التزامات التبرعات :

« بند ٤٨ — واختلفوا في العدة هل لها قوة الالتزام أو لا ؟ والأقوال في ذلك أربعة ، المشهور منها أن الموعود إذا دخل بسبب العدة في شيء فإنه يقضى بها كالالتزام ، مثال ذلك أن يقول لك شخص إنى أريد أن أهدم دارى ولكن ليس عندي من المال ما أعيد به بناءها ، فتقول له : اهدم دارك وأنا أسلفك ما تنبى به ، فبهدها بناء على وعدك ، فإنه يجب عليك الوفاء بما وعدته به ويقضى عليك به لأنك أدخلته بوعدك في ذلك . ومعنى العدة إنشاء الخبر معروفاً في المستقبل ، وبهذا يفرق بينها وبين الالتزام ، وهل يفرق بينها وبين الالتزام بصيغة الماضي والمضارع ؟ المعول عليه في ذلك القرائن ، غير أن صيغة الماضي تدل على الالتزام وإنفاذ العطية بدون احتياج إلى قرينة ، بخلاف صيغة المضارع فإنها لا تدل على الالتزام إلا بقرينة .

« بند ٤٩ — ومن الالتزام ما يكون بمقتضى العادة ، ومن أمثلة ذلك أن من تزوجت وهي ساكنة في بيت لها فسكن الزوج معها فلا كراء عليه إلا إذا تبين له أنها ساكنة بالكراء ، أو تقول له إما أديت الأجرة أو خرجت ، وذلك لأن العادة جارية أن هذا يكون على وجه المكارمة ، وكذلك الحكم إن سكن بها في مسكن لأبيها أو أمها فهو كسكنها لا شيء لها في مدة وجودها في عصمتها .

« بند ٥٠ — ومما يناسب ذكره هنا ما نقلوه عن أشهب أنه سئل عن رجل اشترى كرماً من رجل يخاف الوضعية فأنى ليستوضعه فقال له بيع وأنا أرضيك ، قال : إن باع برأس ماله أو يبيع فلا شيء عليه ، وإن باع بالوضعية كان عليه أن يرضيه ، فإن زعم أنه أراد شيئاً وحلف بالله ما أراد أكثر من ذلك الخ فهل يقاس على هذا — مع ملاحظة أن الالتزام قد يكون بحكم العادة — ما إذا خطب خاطب فتاة ليتزوجها فاشتريت الجهاز بما لها ثم عدل الخاطب

عن الزواج فلم يعقد عليها وأصبحت لا حاجة بها الى ذلك الجهاز الذي اشترته لأجل أن يتزوج بها وفاء بوعده في الخطبة وشرائه لها بحكم العادة المستمرة ، فإما أن يبقى عندها الجهاز فيتلف أو تنقص قيمته ، وإما أن تبيعه بشئ بخس ، فهل يجبر ذلك الخاطب على دفع ما اشترته به لها وأخذه أو على دفع الفرق لها إذا باعته بوكس ؟ الظاهر أنه يقضى عليه بذلك لأنه هو الذي حملها على شرائه بحكم العادة ثم عدل ، فأوقعها في الخسارة ، فكان العدل قاضياً بأن يصلح ما أنقله . ويؤخذ ذلك من فقه ما تقدم . وهذا هو ما ظهر لي . والله أعلم .

هذا وإن كنا نميل الى الأخذ بهذا الرأي ونستحسنه إلا أن التخرج المذكور لا يتلاقى تماماً مع الأمثلة التي أوردوها ، حيث إن هذه الأمثلة لا تنصب إلا على القضاء بشئ معين هو موضوع الالتزام ، ولا يمكن القضاء بموضوع الخطبة ، إذ هو عبارة عن إتمام عقد الزواج وليس عبارة عن الجهاز وخسارته ، اللهم إلا إذا قيس ذلك على أمثال أشهب في حكاية بيع الكرم حيث الملتزم التزم بتعويض الخسارة ، ومع ذلك فهذا التخرج أيضاً لا ينطبق تماماً مع المثال المذكور . والواقع أن عدول النا كل فعل قد يحدث ضرراً ، وروح الشريعة الإسلامية والعدل يقضيان بالزام محدث الضرر بالتعويض . وفي الشريعة أمثلة في هذا النوع كما في أحوال الاعتداء على النفس .

ويلزم للحكم والقضاء بالتعويض أن يكون النا كل قد عدل عن خطبته بغير مبرر شرعي ، وأن يكون الطرف الذي لم يعدل قد ركن الى الخطبة وأخذ في إعداد ما يلزم لإتمام عقد الزواج وحدث له ضرر من النكول بحيث تكون هناك علاقة سببية بين النكول والضرر . وهذا ما ظهر لنا . والله أعلم .

الزواج أو النكاح

سنستعرض بعض أنظمة الزواج المشهورة والتي تطورت مع مرور الزمن واستمدت منها التشريعات الوضعية الحديثة بعض نظمها ، وذلك مع بعض من التوسع لأهمية ذلك .

الزواج عند الجرمان :

كان الزواج يتم بطريق بيع المرأة ، إذ كان الزوج يشتري المرأة شراء حقيقياً ، وكانت هذه الطريقة هي المتبعة لدى الشعوب القديمة ، وكانت مع ذلك يشوبها شئ من الخشونة ، حيث كان الزوج يختطف المرأة . وفيما بعد صار هذا الشراء صورياً ورمزياً ، فقد تزوج كلوفيس ملك الافرنج بكلوتيلد ودفع ثمناً صورياً ديناراً وصدلياً واحداً ، ولقد أشار الاستاذ شيرون في محاضراته في تاريخ القانون أن في مقاطعات فرنسا الوسطى يعطى الخاطب مخطوبته ثلاث عشرة قطعة من النقود ، وأيد صحة هذا أندري بوند قائلاً إن هذا النوع كان يوجد في القرن

السادس عشر ، واستبدل على ذلك بما ذكره بيبير جرنجوار في شعر له عن زوجته حيث يذكر أنه دفع فيها ثلاثة عشر صولديا .

ومما هو ثابت أيضاً لدى الجرمان أن المرأة الأرملة إذا تزوجت فإن الزوج الثاني يدفع قدراً من المال لأقرب الأقربين لزوجها المتوفى ، وذلك كتمويض .

الزواج في القانون الروماني :

كان الرومان القدماء يعتبرون الزواج مجرد واقعة مادية ، ولكنه كان أحد مصادر السلطة الأبوية ، وكان الغرض من الزواج إلتحاد أولاد شرعيين يضمنون دوام الأسرة وتحليلد عبادتها بتقديم القرابين والضحايا الخاصة بالأسرة ومنزلها ، فبالزواج تصير المرأة أحد أفراد أسرة زوجها وتشارك معه في القيام بوسائل العبادة الخاصة بأسرة زوجها ، فكانت توجد وحدة مطلقة بين الرجل وزوجته القصد منها البقاء والاستقرار ، وتنقطع كل صلة للمرأة مع أسرته الأصلية ، وتندمج في أسرة زوجها اندماجا تاما ، وتقع تحت سلطة زوجها التي هي عين السلطة الأبوية ، وهذا إذا كان رب الأسرة هو الزوج ، أو تقع تحت سلطة والد الزوج إن كان والد الزوج هو رئيس الأسرة وربها ، وتعتبر الزوجة كأحدى بنات الأسرة تماماً

وكان الرومانيون يعرفون نوعين من الزواج : زواج مع سلطة ، وزواج بلا سلطة ، وسنتكلم عليهما .

الزواج مع السلطة :

في هذا النوع طبقا للقانون القديم كان الزواج يحصل مصحوبا بتقرير سلطة مطلقة للزوج على زوجته تشبه سلطة صاحب اليد على ماتحت يده ، ولو أن الزوجة ترتفع إلى مصاف زوجها من الوجهة الاجتماعية إلا أنها خاضعة خضوعاً مطلقاً لسلطة رب الأسرة سواء كان الزوج أو والده هو رب الأسرة ، وتتفق السلطة الزوجية مع السلطة الأبوية في النتائج والآثار ، وتصير حالة الزوجة من حيث الحكم كحالة إحدى بنات الأسرة ، فليس لها مال خاص ، وكل ما تمتلكه وقت الزواج يكون ملكاً لرب الأسرة ، وتنعدم أهليتها لاكتساب المال ، وتنقطع صلتها بأسرتها الأصلية .

ويجب عدم الخلط بين السلطة الزوجية والزواج في حد ذاته ، إذ الزواج كما قلنا طبقا للقانون القديم عبارة عن فعل مادي لا يتدخل القانون في تقرير نظم ولا يكون من اختصاصه بل هذا يرجع لرؤساء الأسرات أنفسهم ، ولكن العادات تقرر له آثاراً قانونية ، فلا يكون خاضعاً لاجراءات شكلية خاصة وإن كان في الواقع يحصل مصحوبا بمظاهر شكلية وتقليدية ليعلم به الناس ، فكانت الزوجة تذهب الى بيت زوجها بمحفل عظيم حيث تسلم اليه ويقابلها

بتقديم النار والماء لها إشارة إلى رضائه بأن تكون شريكة له في تقديم القرابين والضحايا الخاصة بأسرته ، ولكن هذه المظاهر ليست من أصول الزواج في شيء .

وأما تقرير السلطة الزوجية فكان يحصل بأحدى طرق ثلاث : القربان ، والشراء ، والاستعمال (أو المعاشرة لمدة طويلة) .

القربان : كانت تحصل حفلة دينية يقدم فيها الزوجان قربانا عبارة عن فطيرة من الحلوى لـكوكب المشتري الذي كان معبودهم ، وتقسم بين الزوجين ثم يتلفظان بعبارات خاصة خاضعة لقيود شكلية خاصة ، وذلك بحضور من شهود كان عددهم عشرة يمثلون قبائل الرومان العشرة ، وهذا النوع خاص بالأشراف .

الشراء : هذه الطريقة ليست دينية ، وكانت خاصة بالعوام ، وهي عبارة عن أن تباع المرأة ببيع السلع النفيسة لمن ستكون له السلطة الزوجية عليها مع تبادل كلمات علنية بين الزوجين يتم بها حصول البيع ، وقد رأى بعض العلماء أن هذا إحياء للنوع القديم للزواج الذي كان يتم بالشراء الذي صار فيما بعد رمزيا وصوريا .

الاستعمال : المساكنة بين الرجل والمرأة لمدة سنة بلا انقطاع تكسب الرجل السلطة الزوجية على المرأة ، وليس المقصود من المساكنة أن يحصل اتصال جسمى بل تكفي المساكنة فقط ، ويشترط عدم انقطاع السنة بمكث المرأة ثلاث ليال في أسرتها الأصلية ، وهذا يشبه وضع اليد في التملك بمعنى المدة ، ومصدر هذا النوع يرجع لنظام الزوجية الذي كان يحصل بطريق اختطاف المرأة .

الزواج بالسلطة : قد اندثر أولا النوع الثالث من هذا الزواج وبقي الأول مدة طويلة ، وكان النوع الأول يعتبر شرطا للدخول في السكهنوت ، وقد قل الزواج بالسلطة حتى أصبح نادرا في العصر العلمي . « يتبع »

صالح بكير

المدرس بكلية أصول الدين

العقل والنقل والذوق

- ٤ -

من حيث الغاية :

لعلم الشريعة ناحيتان : الناحية الأولى هي بيان علاقة العبد مع ربه وهي التي تتمثل في العبادات ، والناحية الثانية هي تلك الناحية التي ترمي الى تنظيم علاقة الأفراد بعضهم مع بعض . والغاية من الناحية الأولى هي تبين حكمة العبادات من ناحية وجوب فرضها ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الخ ؛ والصوم يكسر شهوة النفس ويدل على مظهر الذلة لله ، وأيضا له فائدة اجتماعية هي الاحساس بجسوع الفقير فنحسن إليه ؛ والزكاة لها فائدة اجتماعية في مساعدة الفقراء وأبناء السبيل ؛ وللحج فائدته من ناحية رواج التجارة في تلك الأرض التي لا تثبت فيها زرع . هذا فيما يتعلق بغاية العبادات بالنسبة للعباد أنفسهم ، أما فيما يتعلق بغايتها من حيث صلتهم بربهم ففي أدائها حسب شروطها ومراعاة أركانها امتحان للعبد على مقدار خضوعه لربه وصدق إيمانه وكسر شهوة نفسه والظهور بمظهر الذليل الطائع ، فالعوام إنما يعبدون الله خوفا من عذابه وطمعا في جنته وما ينتظرهم فيها من نعيم مقيم الى غير ذلك من المشوقات المادية .

أما جانب المعاملات وأحكام الزواج والطلاق وتبنيان علاقة الحاكم بالمحكومين الى غير ذلك ، فالقصد منه تنظيم المجتمع على أسس غير تلك الأسس التي عهدناها عند العرب في جاهليتهم . ولقد كان للتشريع الاسلامي أثر خطير في قلب أوضاع المجتمع العربي الجاهلي . هذه بالجملة أغراض علم الشريعة .

ومن البدهي أن الصوفي لا يعنيه تنظيم الحياة الاجتماعية ، وماله ولهذا ، وهو الميال الى الوحدة، الحب للعزلة والخلوة ، يقطع وقته في التعمد والتفلسف وفي الذكر والحمد والشكر ، وهو زاهد في هذا العالم لا يلهيه زخرف الدنيا ولا تشغله أمورها .

ولئن التقت غاية العباد والنسك الذين يمثلون المرحلة الأولى من التصوف مع غاية المشرعين من أن عبادة الله طمعا في جنته وخوفا من ناره ، على ذلك النعوى الذي يمثلنا لنا الحسن البصري الذي خاف من النار كأنها لم تخلق إلا له ، إلا أننا ما لبثنا أن وجدنا أن عبادة الله والاتقطاع إليه والزهد فيمن سواء أصبح يرمى الى غاية أسمى وأشرف .

ويتمثل ذلك في قول رابعة العدوية :

أحبك حبين : حب الهوى ، وحبا لأنك أهل لداكا

فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عن سواكا
وأما الذى أنت أهل له فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

على ضوء هذا نستطيع أن نقرر أن الغاية التى يسعى إليها الصوفية هى « الله » أو « الحق »
ولذلك يسمون أهل الحق .

ولعل فى رواية بكاء عمر بن الفارض حينما أشرف على الموت وقد رأى مقعده فى الجنة
خير ما يمكن أن يستدل به على صدق تقدير هذه الدعوى ، فهو يقول :

إن كان منزلتى فى الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أياى
أمنية ظفرت روحى بها زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحلام
لو كنت أعلم أن الحب آخره هذا الهوان لما خالفت لوامى

من هذا يتبين أن الصوفية ما كانوا ليرضوا بالله بديلا ، فاذا وصل الصوفى الى غايته كان
دائم الحضور مع الله ، دائم الشهود لله ، يدرك فى الله كل شئ ، ويراہ فى كل شئ ، ويسمعه
فى كل شئ ، وفى جملة واحدة يراه فى كل ما تفعله نفسه وما تربده ، ويتجلى له عرش الرحمن
فى قلبه ، وتنمحي أمام عينه الأغيار ، وتضمحل صور الوجود الظاهري وآثاره ، فيخبرنا بأنه
ليس فى الوجود إلا الله ولا شئ سواه ، أو أنهما روحان فى جسد واحد ، كما يتبين فى قول الحلّاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتنى أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وهذا ما يعبر عنه الصوفية بعبارة سلبية « إن الغاية من الحياة هى الفناء » .

هذا بالنسبة الى الشريعة والتصوف ، أما بالنسبة إلى الفلسفة ، ونعنى هنا الفلسفة
الميتافيزيقية ففرضها هو كشف الحقيقة ، أى حقيقة الـكون ، وهى فى هذا تشبه غاية
التصوف وإن اختلف المنهج ، ولكن المتصوف يبتغى الوصول الى الله حتى ينعم بالسعادة
الربوبية ، أما الفلسفة فتبغى كشف الحقيقة حتى تستطيع أن تنير الطريق وتزبد التائه فى بيداء
الضلال الى صوابه ، وهناك نزعة تجريبية حديثة قد استولت على بعض فروع الفلسفة فحاولت
تفسير مظاهر الـكون تفسيراً علمياً باخضاع مظاهره الى قوانين عامة شأنها فى ذلك شأن العلوم
التجريبية مما دعت الى تعريف الفلسفه بأنها علم العلوم .

هذا الى أننا لو حاولنا معرفة كل فرع من فروع الفلسفة على حدة أمكننا أن نقسم هذه
الغايات تبعا لنوع الدراسة والموضوع ؛ فثلا الفلسفة الاخلاقية الغاية منها رسم السلوك الأمثل

الذي يجب أن يتبعه الشخص لتحقيق السعادة ، والفلسفة الاجتماعية تبني من وراء دراستها تحقيق مبدأ الكمال الانساني في الحياة الاجتماعية . والدراسات النفسية كلها ترمي الى معرفة كنه النفس والروح وإن كانت لا تزال تقنع بدراسة ظواهر النفس ومظاهر الحياة النفسية لصعوبة تحقيق هذه الغاية . والفلسفة المنطقية ، وعلم مناهج البحث يدرس القوانين الأساسية للتفكير وطرق البحث في العلوم للتحرز من الوقوع في الخطأ وللوصول الى الحقيقة ما

سمير زايير

ليسانسيه في الفلسفة

فضيلة القناعة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من أصبح وأمسى آمناً في سربه ، معافى في بدنه ، عنده قوت يومه ، كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها » السرب في اللغة : الجماعة من الطير ، والطريق ، والقلب ، وحرم الرجل وعياله ، مستعار من سرب الطير ، وهو في الحديث بهذا المعنى . والحذافير جمع حذفور ومعناه الجانب .

وقال سعد بن أبي وقاص من كبار قادة الصحابة لابنه : يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فانها مال لا ينفد ، وإياك والطمع فانه فقر حاضر ، وعليك باليأس (أى مما لا يمكن نياله) ، فانك لم تيأس من شيء قط إلا أغناك الله عنه .

وقال مفكر : الغنى من استغنى بالله ، والفقير من افتقر الى الناس .

وقال حكيم : لا غنى إلا غنى النفس .

وقيل لأبي حازم : ما مالك ؟ قال : ما لاني : الغنى بما في يدي عن الناس ، واليأس عما في أيدي الناس .

وقيل لآخر : ما مالك ؟ قال : التجميل في الظاهر ، والتقص في الباطن .

وفد عروة بن أذينة على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة ، فقال له أمير المؤمنين : ألسن القائل يا عروة :

لقد علمت وخير القول أصدقه بأن رزقي وإن لم يأت يأتيني
أسمى إليه فيمبني تطلبه ولو قنعت أتانى لا يعنيني ؟

فما أراك إلا قد سميت له ا

نخرج عروة وشخص من فوره ذلك الى المدينة . فافتقده عبد الملك ، فقيل له توجه الى المدينة . فبعث إليه بألف دينار . فقال للرسول : قل لأمير المؤمنين : الأمر على ما قلت ، قد سميت له فعنانى تطلبه ، وقعدت عنه فأتانى لا يعنيني .

يجب أن تختار الانسانية بين الخوف من الله والخوف من القنبلة الذرية

للدكتور موسى فنتورا حاخام الاسكندرية الاكبر

في سبيل الاتحاد بين المؤمنين :

كلمة مهداة الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق
شيخ الجامع الأزهر

نشر حضرة الحاخام الاكبر للطائفة الاسرائيلية بالاسكندرية السيد الدكتور
موسى فنتورا مقالا بصحيفة الريفورم الفرنسية الصادرة في ٢٠/١/١٩٤٦
أهداه الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق
شيخ الجامع الأزهر. وقد بين في هذا المقال الاخطار المحدقة بالجنس البشرى
بسبب استخدام القنبلة الذرية في الحرب، وأشار الى وجوب التعاون بين رؤساء
الاديان السماوية لدفع الكوارث المترتبة عن حروب تنشب في المستقبل، وإلى
أن هذا التعاون يكون الغرض منه دعوة أصحاب الديانات الكبرى إلى حسن
التفاهم والتمسك بالقيم الانسانية العليا التي تشترك عقائدهم جميعا في الخوض على طلبها.
ويسر مكتب البحوث الثقافية لفضيلة الاستاذ الاكبر أن ينشر في مجلة الأزهر
ترجمة عربية لهذا المقال لعل من يعنون بهذا الأمر الخطير أن يتدبروه.

إلى ألمح من هنا حالة التردد التي تمتري القارئ الذي لا يكثر بمسائل الاعتقادات
الدينية، فهل يصح العزم على قراءة هذه المقالة حتى النهاية؟ وربما يقول في نفسه ما الفائدة؟
ألم يثبتوا أن الدين هو أفيون المجتمع؟ وإلى لا منع نفسي أن أجادل في هذه المسألة، ولكني
أقول مع ذلك إنه يصح أن يقال إن الدين هو أفيون المجتمع على نحو ما يقال إن العلم كان
كارثة، بل كان أكبر مصيبة في زماننا، لأنه حول الكرة الأرضية الى مصنع مخيف للأسلحة،
فهل ينبغي تبعا لذلك أن نلجأ الى إحراق دور كتبنا وهدم معاملنا وإعدام كل نتائج العلم،
مثل الاضاءة بالكهرباء والتليفون والتلغراف واللاسلكي وغيرها لكي نعود الى الحياة

الابتدائية؟ الجواب على هذا السؤال هو النفي قطعاً، وإن فعلناه فإننا سنشعر في الغد في استئناف تكوين العلم في درس عناصر الطبيعة من جديد لنخضعها للحصول على أكبر مقدار من الراحة والرفاهية.

وربما قيل إن العلم سلاح ذو حدين والامر متوقف على طريقة استعماله. وكذلك شأن الدين، فإذا صح أن الدين هو أفيون المجتمع فإنه أيضاً مع ذلك المنبه له الذي لا يضارع. وإذا صح أيضاً أن الدين كان على مر الزمان سبباً في إطلاق النعصب والخرافة بل محن التفنيس والحروب الدينية، فإن مما لا يقل عن هذا صحة وصداق أن الدين كان دائماً منبهاً لا ينضب للسلام والإخاء والمحبة.

والامر الثابت هو أن عصرنا مصاب باضطراب عميق لم يسبق له مثيل. وإذا كانوا في الجهات العليا يمتد بينهم النقاش من أجل استخلاص أسرار الحرب، فإن مرجع هذا إلى أن عصرنا عاجز عن استكشاف سر السلام. ونحن مصابون بهذا المرض الذي أجاده نرى يرغبون تشخيصه، إذ أرجع سببه إلى ما يقلب في أيماننا من سوء تناسب بين البدن والنفس. فهو يقول إن نظام الآلات قد زاد في قوة بدننا زيادة عظيمة. وإذا كانت آلة الصانع امتداداً لذراعه فإن تجهيز الانسانية بالآلات هو امتداد لبدينها. ولكن النفس بقيت كما هي، ولذلك قد صارت من الصغر بحيث لا تستطيع أن تملأ هذا البدن الذي امتد امتداداً متجاوزاً كل نسبة، كما صارت من الضعف بحيث لا تستطيع أن تقوده.

ومنذ عدة سنوات أتبع لنا أن نستمع إلى رجل نابه من رجال السياسة الفرنسية وهو يعبر عن مثل هذه المخاوف، وكانت خلاصة أقواله كما يلي:

زرت « قصر الاستكشاف » في معرض باريس سنة ١٩٣٧ فادعيتني من جهة رؤية ما يستحق الإعجاب من استكشافات العلم الذي وفق إلى الانتفاع بالقوى الرهيبة الكامنة في الذرة، ولكنني فزعت من جهة أخرى عند وفوفي بازاء ما يتجلى من هذا الجبروت للمادة. وإني أخشى أن تصير القوانين الحاكمة لقوى المادة الجامدة هي القاعدة السائدة، وأن تصبح هي الموجهة للتصرف الانساني؛ وهذا ما سيكون داعياً للأسف ومسبباً للحوادث. وينبغي ألا يغيب عن بالنا أن فوق كل شيء توجد النفس، كما يوجد القانون الخلقى الذي ينبغي أن يكون وحده دليلنا المسدد لخطانا.

وكذلك كان يتكلم إدوارد هربو عند زيارته للاسكندرية سنة ١٩٣٨. ولنعترف أنه كان يرى الحق، ففي الوقت الذي قال فيه هذا الكلام كانت الانسانية تشعر بأنها تحيا فوق بركان، واليوم تحيا الانسانية تحت القنبلة الذرية. ولن يستطاع إنقاذ الانسانية إلا بتخليصها من الذرة لكي توجه نحو ما للنفس من مناطق لا تنهاى.

وادعى البعض ادعاء ظالماً - لكي يصرفوا الأذهان عن الله - أن للذرة كل ما للنفس من صفات ، فصارت المادة التي يزعمون أنها غير فانية وغير حادثة هي الحقيقة الوحيدة ، وصار القول بالجبر الذي لا نقض في أحكامه هو قانون الطبيعة الوحيد .

وحتى في أيامنا هذه لا يزال البعض يمثل الأمور هذا التمثيل ويعرضها في معارض العلم بالرغم من كثرة ما حدث واستجد في بيوت المصنع الغامضة التي يصنع فيها العلم .

وفي الواقع أن طالما فرنسا نابهاً هو جوستاف لوبون (١) أثبت منذ أربعين سنة تقريباً أن القانون القائل ببقاء المادة وأنها لا تنعدم ليس إلا خرافة ، وأن المادة ليست إلا صورة مستقرة للطاقة . ولكن هذا الاعتراف الرصين لم يتجاوز حدود المعمل . وكان لابد من القنبلة الذرية التي هي أثر لتحرير الطاقة المتداخلة في الذرة لكي يعرف العالم كله أن المادة تستحيل الى طاقة وأنها لا هي غير قابلة للمعدم ولا هي غير حادثة . ولم يكن من المستطاع أن يذاع في الملا إفلاس المذهب المادى على نحو أكثر صخباً من هذا النحو .

وها نحن بازاء قوة كونية منتجة للمادة وهي تحمل في نفسها كل علامات النفس . فهي تعمل في نطاق الطبيعيات وفق صيغ رياضية ثابتة ، كما يظهر في نطاق علم الحياة تأثرها بغائية دقيقة ؛ وهذه الغائية هي المعنى الذي لم يستطع أفسى المذاهب المادية أن يجد منه مهرباً . وفي نطاق علم النفس تظهر هذه القوة مفكرة ومختارة ، وبذلك تواجه القول المادى بالجبر بأقطع تكذيب .

وإن ما يجنيه الانسان من إعادة تقويم هذا التصور للعالم من جهة الكرامة ومن جهة القيمة الخلقية هو شيء عظيم يفوق كل تقدير ؛ فهو لا يصير بعد هذا العوبة لما في المكان من ذرات لا نهاية لها تتخبط خبط عشواء . وإذا بطل أن تكون النفس نسبة الى المادة ، فانه يبطل تبعاً له أن يكون الانسان آله ، ويحل محل القول بالاتقي الاى الامان بانتصار العدالة ، كما يحل محل القول بأن القوة هي الحق ، الشهور بالعطف على الغير والمحبة .

والانسانية لم تستفد بعد لسوء الحظ أية فائدة خلقية من هذا التحول الفاصل في التفكير العلمى . ولما كانت متشعبة أكثر مما ينبغي بأفكار من فلسفة التطور مثل القول بالانتخاب

(١) قال المهندس يوسف موصيرى في مقالة نشرها في Progrès Egyptien في عدد ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٥ في أثناء كلامه عن عمل جوستاف لوبون ما يأتى « إننى أعتذر لطول ما اقتبست ، والغرض من هذه الاقتباسات هو إنصاف العالم الذى كان أول من كشف عن وجود طاقة داخلية في الذرة ، والذي لم ينسب اليه أحد حتى الآن أبوة هذا الكشف . ونحن نسمح لأنفسنا أن ننير اليه بأنه أتيح لنا من قبل أن نصف العالم الفرنسى النابه هذا الانصاف في مقالة ظهرت في شهر سبتمبر في صحيفة النهر اليهودى » وهي مقالة ترجمت فيها بعد إلى اليونانية ونشرت في مجلة « بانورما » .

الطبيعى وتنازع البقاء الخ فانها تنشب بكشف يبيح للبعض أن يكافح فى سبيل الحياة بوحشية أكثر مما يفعل الآخرون .

وما أبعد ما بيننا وبين عهد السعادة الذى جاء ذكره فى النبوات ! هذا العهد الذى يستحيل فيه السيف محرثا والرح منجلا .

ولكى نفهم الى هذا النوع من نزع السلاح المادى ، ينبغى أن نلجأ الى تسليح روحى وخلقى شديد ، وينبغى أن يقوم أصحاب العقائد المختلفة ، لا سيما رؤساء الديانات الاسلامية والاسرائيلية والمسيحية ، بالقسط الاعظم فى هذا العمل الذى يراد منه التعديل والتقويم . ذلك لأنه يوجد فوق الحواجز التى تفصل بين ديانات التوحيد مبادئ تشترك فيها جميعا ، وينبغى أن تجتمع هذه المبادئ المشتركة بين أهل هذه الديانات من أجل الغرض النبيل الذى هو إنقاذ الناس نهضة خلقية وروحية .

وقد كان فى السوق العالمية فى نيويورك سنة ١٩٢٩ جانب مخصص للديانة ، وفيه تأمل ملايين من البشر من جميع الديانات تأملا يغمره الخشوع الدينى ، ولم يكن هذا الجانب كنيسا ولا مسجدا ولا بيعة ، وإنما كان هذا معبد الدين ، وخطب أحد القائمين عليه فكان مما ورد فى خطبته الافتتاحية ما مؤداه : « إننا لا ندعى أننا اتفقنا فجأة فيما بيننا فيما يختص باختلافات العقائد التى تفصل بيننا ، وإنما نحن نثبت بالإجماع أن إله إبراهيم ، أبى المؤمنين ، هو الإله الوحيد ، وأن الحياة فى ظل الاتفاق الأخوى هى متابعة لارادة الله تعالى . وليس الغرض من اجتماعنا هنا هو افتتاح بناء بقدر ما هو العمل على إعادة تدبير حياتنا ، هذه الحياة التى ينبغى أن تقوم على أسس من التواضع والاخاء والايمان بالله » .

وحاجتنا اليوم الى قدر من المظاهرات العارضة على نحو ما يحصل فى الأسواق والمخافل أقل بكثير من حاجتنا الى نظم دائمة تبجح لأهل الديانات المختلفة أن يتآخوا باسم مبادئ عليها يشتركون جميعا فى تقديسها ، وبهذا يخلقون فيما حولهم محيطا من الصفاء والسلام .

وليس هذا مجرد أمنية ، بل هو مشروع تضافر فى تصويره ووضع إدراك الواقع وتقديره مع العزم والتصميم . وإن كاتب هذه المقالة ليلوذ الاعتقاد أن تحقيق السلام فى العالم سوف لا يرجع الى المشروعات الهائلة التى يحكم الساسة تدبيرها بقدر ما يرجع الى الجهود العملية التى يبذلها جميع أصحاب الارادة الطيبة ، وهى جهود يرى كل واحد من القائمين بها فى الوسط الذى يحيط به الى تلطيف الحياة بمزيد من الفهم والتسامح .

وإن مؤلف هذا المقال الذى يمارس رسالته الروحية فى هذا البلد الجميل من وادى النيل

منذ ثمانى سنين ، والذي يحظى بشرف التمتع بعطف زملائه من أهل الاعتقادات المختلفة وهو شرف عظيم ، يؤمن أصدق الإيمان بمناسبة الوقت الحاضر لخلق « اتحاد المؤمنين بالله » فى مصر . وإذا كانت مثل هذه الهيئة قد أعطت قبل الحرب نتائج طيبة فى بلد ليست له ديانة رسمية مثل فرنسا ، فإنها تصير بلا شك مصدرا للبركة تحت كنف صاحب الجلالة الملك فاروق الأول فى بلد منادين مثل مصر .

وبهذا الإيمان يتجه موقع هذه المقالة إلى حضرة صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى عبد الرزاق شيخ الجامع الأزهر الجديد ، وهو المؤمن للعظيم والجامعى العظيم ، مع رجائه بكل إجلال أن يتولى فضل الدعوة إلى جميع ممثلى الطوائف التى جمعها القرآن تحت اسم « أهل الكتاب » فى جمعية منظمة ترتفع فوق حواجز الدم واللون والاعتقاد والنزعة السياسية لتكون فى الطليعة وضمانا فى العمل من أجل السلام .

والمقصود عمليا هو تعيين مجلس من بين ممثلى الديانات المختلفة يكلف ببيان قيمة المبادئ الروحية والخلقية التى هى أساس لديانات التوحيد ونشرها بكل الوسائل مثل المحاضرات والإذاعة والسينما .

وإنى مقتنع أن هذه المهمة لن تستعصى على الشيخ الجليل الجامع الأزهر ، فهو رأس معهد عمره ألف سنة ، وكان قديما شاهدا عيان لهذا العهد الذهبى فى العصور الوسطى ، حيث كان المؤمنون من أهل العقائد المختلفة يعيش بعضهم مع بعض فى أمان مميصة الأخوة كأولاد أب سماوى أكبر ، وسيستطيع الأستاذ الأكبر حتما إعادة الجو حول هذا البيت المقدس .

وفى الوقت الذى أصبح الشرق فيه مدعوا إلى المساهمة فى دور عالمى خطير نتمنى لمصر أن يتاح لها تحقيق هذا الغرض فى أخوة العالم . وسيكون هذا ألمع درة فى التاج المجيد لصاحب الجلالة فاروق الأول الذى نبتهل إلى الله أن يباركهم .

علوم القرآن

علم أقسام القرآن

قلنا في مقال سابق إن علوم القرآن الكريم تتفاوت من ناحية شخصياتها واستقلالها تفاوتاً ظاهراً ، فقد صار بعض هذه العلوم مشهوراً مستقلاً له اسم خاص بحيث إذا أطلق انصرف إليه دون إضافته إلى القرآن الكريم ، كعلم التفسير وعلم القراءات ، وما يجري مجراها في الاستقلال والشهرة وكثرة التأليف ، كالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ، وبعضها لم يصل إلى هذه المرتبة من الاستقلال والشهرة ، ليس لأن هذه العلوم في ذاتها أقل درجة ورتبة ومنزلة من غيرها ، فإن كل ما أضيف إلى القرآن الكريم في أعلى درجات الرفعة والشرف والكمال ، ولكن لأن العلماء على اختلاف طبقاتهم في المصوب السالفة لم ينعنوا بها العناية الكاملة ولم ينظروا إليها كعلوم مستقلة يفرّدونها بالتدوين والتأليف ، إما لصعوبتها وعدم وجود مراجع كافية للاستناد عليها في البحث والتأليف ، وإما لأن علوم القرآن المستقلة تناولتها ، فلم نر مثلاً مؤلفاً في علم المنطوق والمفهوم في القرآن ، ولا في علم الخاص والعام ، ولا في علم الجدل ، حتى علم إيجاز القرآن وهو أسمى العلوم بقرآنية القرآن لا يوجد فيه من المؤلفات إلا النزر اليسير جداً مما لا يتناسب مع جلال هذا العلم (علم إيجاز القرآن) .

ولقد كنا نحجل حينما نجيب السائلين على كثيرهم عن مؤلفات في هذا الفن بأنه لا يوجد في المكتبات الشرقية عموماً والمكتبات العامة في مصر « دار الكتب الملكية » و« المكتبة الأزهرية » إلا مؤلف واحد في هذا الفن وهو كتاب « إيجاز القرآن » للباقلاني . أما كتاب الرافعي فهو مع إجلالنا لمؤلفه أشبه بكتاب أدب منه بكتاب في إيجاز القرآن ، لأننا إنما نريد إيجاز القرآن من ناحية نظمه وسر تراكيبه وما بين كلماته من شعر ، الأمر الذي أعجز العرب مع التحدي بأقصر سورة منه .

وأما كتاب الامام الجليل عبد القاهر الجرجاني « دلائل الإعجاز » فهو كتاب في البلاغة التطبيقية وليس كتاباً في إيجاز القرآن .

فأنت ترى معنى أن هذا العلم ، وهو أسمى العلوم بمجهر القرآن لم يوجد فيه من المؤلفات ما فيه غناء ، وهام عظماء المفسرين أصحاب السبق في هذا الميدان ، ومؤلفاتهم أمهات الكتب في علم التفسير ، لم نرهم يرضون لربط السور بعضها ببعض ، وربط الآيات كذلك ، بله الكلمات ، إلا بطريق إجمالي يتصيدونه من هنا وهناك لا يكفي مطلقاً في بيان مقام الآية من سابقتها بياناً بلاغياً إعجازياً ، مع أن الامام عبد القاهر يبين في صراحة وجلالة في كتابه

المذكور أن إعجاز القرآن في نظمه لا في لفظه ، وعقد لذلك في الكتاب فصولا عدة عالج فيها ذلك بدقة وإسهاب .

فما هو هذا السر المعجيب بل الرهيب الذي ارتعدت له فرائص فطاحل العرب وجعلهم يخرجون على جباههم أمامه وسجدت له ملوك الكلام ؟ وجواب ذلك عند الله ، إذ لعله بما استأثر الله بعلمه .

ومن العلوم التي لم تشتهر ولم تستقل ولم تحظ بكثرة المؤلفات ، علم القسم في القرآن الكريم ، فلم نطلع على مؤلفات فيه ، إلا مؤلف واحد لابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيمية ، وسأجعله مع مطولات كتب التفسير عماد بحثي في هذا العلم .

معلوم أن القسم يتكون من مقسم به ، ومقسم عليه ، وأداة . وجماع الأمر في المقسم عليه وأساسه وأصله هو القسم على أصول الإيمان التي يجب اعتقادها ، كالقسم على وحدانيته تعالى ، وأن الرسول حق ، وعلى الجزاء ، والوعد والوعيد .

فالقسم على التوحيد كقوله تعالى : « والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا ، إن إلهكم لواحد » .

وعلى أن القرآن حق كقوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ، إنه لقرآن كريم » ، وقوله تعالى : « حم والكتاب المبين ، إنا جملناه قرآنا عربيا ، إذا جعل ما بعد إن المقسم عليه كما هو الظاهر ، ومثله « حم والكتاب المبين ، إنا أنزلناه في ليلة مباركة » .

وعلى أن الرسول حق كقوله تعالى : « يـس والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم » على القول بأنه جواب القسم ، وقوله تعالى « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون » الى قوله « ذي قوة » ، وقوله تعالى : « والنجم إذا هوى ، ماضل صاحبكم وما غوى » .

والقسم على الجزاء والوعد والوعيد كقوله تعالى . « والذاريات ذروا » الى قوله « إنما توعدون لصادق ، وإن الدين لواقع » . ثم ذكر تفصيل الجزاء ، وذكر الجنة والنار ، وذكر أن في السماء رزقهم وما يوعدون ، فقال : « فرب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » ، وقوله تعالى : « والمرسلات عرفا » الى قوله « إنما توعدون لواقع » . وقوله تعالى : « والطور وكتاب مسطور » الى قوله : « ماله من دافع » .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقسم على الجزاء والمعاد في ثلاث آيات من القرآن وهي قوله تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بل وربي لتبعثن »

وقوله تعالى : « وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ، قل بلى وربى لتأتينكم » وقوله تعالى : « ويستنبئونك أحق هو ؟ قل إى وربى إنه لحق » .

فهذه ثلاثة مواضع لا رابع لها يأمر الله نبيه أن يقسم على ما أقسم عليه هو جل شأنه فى قوله تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة » الآية ، فقد تضمن هذا القسم البعث وثبوت الجزاء ، فأقسم الله لعباده وأمر أصدق خلقه أن يقسم لهم ، ومع ذلك أبى الظالمون إلا جحودا .

وقد يكون القسم على أحوال الانسان كالسمى فى قوله تعالى : « والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى » الى قوله تعالى : « إن سميكم لشتى » .

وصفة الانسان فى قوله تعالى : « والماديات ضبعا » الى قوله تعالى : « إن الانسان لربه لكنود » .

وعاقبة الانسان — وإن كان هذا داخلا فى باب الجزاء — فى قوله تعالى : « والعصر إن الانسان لئى خسر » وقوله تعالى : « والتين والزيتون وطور سينين » الى قوله : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا » .

هذا كلام مجمل فى القسم أوردناه فى هذا المقال ، وأما تفصيله وإيضاحه ، وأما بيان أسرارها فى كل آية على حدة فسنورده فى المقالات الآتية إن شاء الله . والله الموفق

معهد طنطة الثانوى
مركز تحقيق وتنظيم علوم القرآن

وصية أبى بكر لعمر

طلب الى أبى بكر رضى الله عنه وقد أشرف على الوفاة أن يختار لهم من يخلفه ممن يشق بكفايته ، فاختار لهم عمر بن الخطاب ، وأوصاه بقوله :

أوصيك بتقوى الله فإن الله عملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفرائض ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لا بوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم ، وحق لميزان لا بوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا .

وإن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا سمعت بهم قلت إني أخاف أن أكون من هؤلاء ؛ وذكر أهل النار فذكرهم بأقبح أعمالهم وأمسك عن حسناتهم ، فإذا سمعت بهم قلت أنا خير من هؤلاء ؛ وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ، لا يسمنى على الله غير الحق . فإذا حفظت وصيتى فلا يكون غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكون غائب أكره اليك من الموت ، ولن تمجزه .

لغة قريش

— ٣ —

والقرآن الكريم نزل باللغة العربية الفصحى ، قال الله تعالى : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا » ، وقال جل شأنه : « نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين » ، وقال عز وجل ردا على هؤلاء الذين زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس الى معلم وأخذ منه القرآن : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » . ولا يتناول الى هذا ما ورد في القرآن من كلمات أعجمية كالفسطاس والاستبرق واراھيم واسماعيل وغير ذلك ، فإن وجود كلمات في كتاب عظيم لا تخرج عن صفته التي هو عليها ، على أننا لو اعتبرنا هذه الكلمات عربية لأنها جرت على لسان العرب وأخذت حكم كلامهم دخلنا الى هذا الأمر من أوسع أبوابه .

ثم اتفقت كلمة العلماء بعد ذلك على أنه نزل بلغة قريش ، تلك اللغة التي تهيات بما تأنى لها من أسباب التهذيب والرفق لأن ينزل بها خير الكلام كتاب الله تعالى ، ولم نجد لاحد خلافا في هذا ولا ريبه فيه ، فهو أمر تواتر نقله ، وتعرف واشهر بين العلماء ، وقد ذكروا في ذلك أخبارا نعتبرها بعد تواتر الأمر من الأدلة عليه ؛ ذكر التاريخ القرآني وهو تاريخ لا كالتاريخ ؛ تاريخ اتفقت له كل أسباب الصدق والثقة ، وأخذ بكل حيطة وتحفظ ، فلم يترك العلماء في جوانبه شيئا يمكن أن يقال فيه : هذا لم يكن ، بل تحروا كل التحري ، وأخذوا أنفسهم في هذا الأمر بما يبقيه أبيض ناصعا ، كأنه حديث اليوم لا يزيد فيه ولا انتقص ، ولا شائبة من تدليس أو كذب ، لأنه يتصل بالأس الاول الذي بنى عليه الدين ، وهم إنما جاهدوا في حياتهم لصيانتة والقيام عليه — ذكروا أن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه حين رأى اختلاف الناس في القراءة ، وخاف عاقبة ذلك فيمن يتخلف من الأجيال والقرون ، رأى أن يجمع الناس على قراءة واحدة ، ويريدهم على مصحف واحد يأخذون عنه ويحتكمون اليه ، فدعا الصحابة الأجله زيد بن ثابت الأنصاري وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام وسعيد بن العاص القرشيين وقال هؤلاء الثلاثة — بعد أن دفع اليهم المصحف التي جمعت في عهد أبي بكر — : ما اختلفتم فيه أتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش فانه نزل بلغتهم ، ورووا عن عمر بن الخطاب أنه قال : لا يملين في مصاحفنا إلا لغتان قريش أو ثقف .

وليس معنى ذلك أن كل كلمة في القرآن نزلت بلسان قريش ، لا ، فإن في القرآن ألفاظا ما هي من لغة قريش ، ولحونا ما هي من لحنهم ، وليس أدل على ذلك من هذا القصة : سمع عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فإذا هو يقرأ على حروف

لم يلقها عمر من رسول الله ، قال عمر : فكدت أساوره في الصلاة وتصبرت حتى سلم فلببته برداءه وانطلقت به أفوده الى رسول الله ، فسمع مني وسمع منه وقال لكل منا : هكذا أنزل « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرءوا ما تيسر منه » . على أن الواسطي ذكر في كتابه الذي وضعه في القراءات أن في القرآن من أربعين لغة ، ثم أخذ يعد القبائل التي ورد شيء من لغتها في القرآن . ومعنى ذلك أن هذه الكلمات لم تندمج في لغة قريش وبقيت معروفة في منبتها الأولى ، ومن هذه الكلمات على ما ذكر العلماء « يتركم » في قوله تعالى « ولن يتركم أعمالكم » فانهم قالوا إنها لغة بني عبس ، وذكروا أن محمد بن منذر الشاعر نزل مكة فقال له أهلها : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحجة إنما الفصاحة في أهل مكة ، فقال ابن منذر : أما ألقاظنا فأحكي الألقاظ للقرآن وأكثرها موافقة له فضعوا القرآن بعد هذا كيف شئتم ، أنتم تسمون القدر برمة وتجمعونها على برام ونحن نجتمعها على قدور ، قال الله تعالى « وجفان كالجواب وقدور راسيات » ، وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت عليّة وتجمعون هذا الاسم على علالي ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وقال الله تبارك وتعالى « لهم غرف من فوقها غرف مبنية » « وهم في الغرفات آمنون » الى أن عد عشر كلمات .

ولم يقف هذا الخلاف عند الكلمة أو الكلمتين أو الكلمات ، بل كان القرآن يرفض الأصل من أصول اللغة القرشية وينزل بغيره ، فمعروف أن قريشا لا همز في لغتها ، وإنما لغتها التخفيف ؛ جاء في مقدمة لسان العرب « قال أبو زيد : أهل الحجاز وأهل مكة والمدينة وهذيل لا ينبرون » (والنبر الهمز) . وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له « يا نبي الله » فقال « لا تنبر باسمي ، إنا معشر قريش لا ننبر (١) » .

وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : نزل القرآن بلغة قريش وليس من لغتها النبر ، ولولا أن جبريل عليه السلام نزل بالهمز ما همزنا .

ولما حج المهدي ودخل المدينة قدم السكسائي ليصلي بالناس فهمز ، فأنكر عليه أهل المدينة وقالوا له أنتبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن ؟ وهذا الخبران يبدوان متناقضين ، فالأول يدل على أن قريشا نطقت بالهمز بعد نزول القرآن ، والثاني يدل على أن أهل المدينة ظلوا الى عهد المهدي (١٥٨ — ١٦٩ هـ) ينكرون الهمز وينكرون على من يقرأ به القرآن . ولعل المخرج من ذلك أن نقول : إن من طواعه لسانه ممن لا يهمزون همز ، ومن بقي طبعه جافيا على ما كان ، وثبت لسانه على سليقته بقي على لحنه الأول ، وأن أهل المدينة من الفريق الثاني .

وربما كان إلا أكثر في القرآن لغة غير القرشيين فهو ينزل بها وبغيرها ولكنهم يلعن

(١) فالتبر غير مهموز مأخوذ من النبا غير مهموز أيضا . فلا صحة لما يزعمه بعض العلماء من أنه مأخوذ من النبوة بمعنى الارتفاع .

غيرها أكثر كما ذكروا في ضم هاء الغائب إذا كان قبلها ياء أو كسرة، فهذه لغة قريش وبها قرأ حفص «وما أنسانيه إلا الشيطان» «وبما طاهد عليه الله» وقرأ حمزة «فقال لأهله امكثوا». ولغة غيرهم السكسر وهو في القرآن أكثر، وكما ذكروا في كلتي براء وبريء فإن الأولى لغة قريش «وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون» وبنو تميم وغيرهم من العرب يلتزمون الثانية وهي في القرآن أكثر استعمالاً «أن الله يرى من المشركين ورسوله».

على أن القراء السبعة قد يلتزمون لغة قريش ويتركون غيرها كما في نصب المستثنى في الاستثناء المنقطع، فقريش تلتزمه، وبنو تميم يجيزون الرفع. وعلى لغتهم جاء قول جرير المودى النخري:

قد أدع المنزل بالميس يمتس فيه السبع الجروس (١)
وبلدة ليس بها أنيس إلا اليمافير وإلا العيس

وقد أجمع القراء على النصب في قوله تعالى «ما لهم به من علم إلا اتباع الظن» وقوله «وما لأحد عنده من نعمة تجزي إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى».

وقد تجيء اللغتان، ولغة قريش أفصح، كما ذكروا في الفعل المضارع المدغم المجزوم، فلغة أهل الحجاز عامة — ومنهم قريش — فك الإدغام، وهي أفصح اللغتين وعليها أكثر ما جاء في القرآن كقوله تعالى «إن تمسكم حسنة تسوؤم» وقوله «ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى» وقوله «واغضض من صوتك» وقوله «ولا تمنن تستكثر». ولغة تميم وبقية العرب بقاء الإدغام، وجاء عليها قول الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين»، وقد جاءت هذه الكلمة مفكوكة الإدغام في الكشف ج ١ ص ٣٤٤. وقرئ من يرتد ومن يرتدد وهو في الإمام بدالين. وعلى لغة التميميين قوله تعالى «ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب». وقد جاء فك هذه الكلمة في قوله تعالى «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا».

هذا وإننا لنختم هذه المقالات بما روى محمد بن عمير بن عطار، فقد سمع عمرو بن عقبة ابن أبي سفيان يقول — وقد سأله سائل: ما بال العرب تطيل كلامها وأتم تقصرونه معاشر قريش؟ — «بالجندل يرى الجندل، إن كلامنا يقل لفظه ويكثر معناه، ويكتفى بأولاه ويستشفى بأخراه، يتحدر تحدر الزلان على السكبد الأخرى، والله أفوام أدركنهم كأنما حققوا لنحسين ما فاحت الدنيا، سهلت ألقاظهم كما سهلت ألقاظهم، فابتذلوا أموالهم، وصانوا أعراضهم حتى ما يجد الطاعن فيهم مطمئناً، ولا المادح مزيداً».

على محمد حسن

المدرس بمعهد القاهرة

(١) الجروس: الذي يسمع صوت الإنسان. اليمافير جمع يمنور وهو الظبي الذي لونه لون التراب. والعيس: الأبل البيض التي يخالط لونها شقرة.

الرجز والرجاز

- ٢ -

انتهى العصر الجاهلي أو كاد ، والرجز والشعر يفترقان في أكثر من طريق ؛ فالشعر طويل النفس ممتد ، والرجز ضيق الباع مكثز ؛ والشعر متأنق في لفظه وخياله يرمى الى التأثير ، والرجز متبذل في لفظه وخياله ، يهدف الى التعبير ؛ والشعر يتناول نواحي الحياة الخاصة الراقية ، والرجز يتناول نواحي العامة ، وينحط الى أخس أحوالها ، فيصورها بأي لفظ ، بالغاً من الفحاشة ما هو بالغ ، غير متكلف تكنيية ولا إشارة .

وتنبأ ليل الجاهلية ليضى ، فظهر آنذاك شاعر لم يستو له حظ وافر من الشاعرية ، فنشأ طامياً ممتازاً بعض الامتياز ، ومع ذلك فقد تنبأ له أن يكون حلقة من حلقات التطور الى تشعير الرجز إذا صح هذا التعبير .

ولعل سقوط شاعريته ، وعدم نضوجها والتعاضد ، هو السر في اختصاصه باتخاذ هذه الخطوة في المقاربة .

والرجز -- على طامينه -- درجات ؛ وبين سافلة الشعر ، وعالية الرجز مقاربة ، فاذا تنبأ رجل أن يضع قدماً على دانية الشعر ، وأخرى على عالية الرجز ، كان جديراً باصطناع هذه المقاربة بين هذا وذاك .

وقد كان ذلك الشاعر الذي نشأ في أدبار الجاهلية ، وأدرك تباشير الاسلام ، خافت الضوء في الشعر ، ومع ذلك فقد كان « أرجز الرجاز وأحسنهم كلاماً ، وأصحهم لفظاً » . ولا غرابة فان من بوضع في ميزان الشعر فيكون له ثقل جل أو هان ، جدير بان يتزعم الرجز في ذلك العهد . ذلك الشاعر هو الأغلب بن جشم بن سعد ، العجلى للبكرى الربيعي .

الأغلب قد قال في جاهليته شعراً ، وقال رجزاً ، لأنه كان شويماً ، وكان رجازاً ، ولكننا لا نعتز له بشعر جاهلي نستدل منه على مقدار شاعريته .

فأما رجزه فينقل الرواة لنا منه نورا يسيراً ، ولكنه -- على ذلك -- يمكننا بشيء من التدبر من أن نتعرف على قيمة الرجل ومزله في الشاعرية .

وتسألني لماذا أهمل الرواة شعر الأغلب ، وآثروا رجزه بالرواية والنقل ؛ أليكون ذلك لأن رجزه أقوى من شعره ؟

أما أنا فلا أميل الى هذه الدعوى . وإنما آثر الرواة الرجز بالرواية لأن رجزه -- في محيط

الرجز — قوى فنقل ، وخصوا شعره بالاهمال ، لأن شعره — في عالم الشعر — قليل الغناء فلم يحفلوا به .

وتسألنى كيف تقيس شاعرية الرجل ، مع أنه لم يخلف لنا أثرا نتعرف منه عليها ؟ ومادمت قد فرضت أن شعره المفقود كرجزه الموجود ، فلا مضى في هذا الافتراض وأتعرّف على شاعرية الرجل من هذا الرجز الذى بين أيدينا ، لأن المرء حين يعرض للرجز أو التقصيد ، فأعما يمتح من بئر واحدة ، ويدلى برشاء واحد . والطبع الواحد لا يوائى فى الشعر ويتخلف فى الرجز وقد آن لنا أن نعرض لرجز الأغلب بشئ من الدراسة لنرى أية خطوة خطاها ، ونذكر خطورة هذه الخطوة ، ونستبين مقدار شاعرية الرجل .

قال فى يوم الزور يفخر بقومه ، ويهجو تيمما :

جاءوا بزورهم (١) وجئنا بالاصم شيخ لنا ، قد كان من عهد إرم ١١
يكر بالسيف إذا الرمح انحطم كحمة الليث إذا ما الليث هم
كانت تميم معشراً ذوى كرم غلصمة من الغلاصم العظم
قد نفخوا - لو ينفخون - فى تخم وصبروا - لو صبروا - على أم
إذ ركبت ضبة أعجاز النعم فلم ندع ساقا لها ولا قدم

فأنت ترى أنه قد سخر بتميم ، فى اتحادهم البعيرين زورين ، وقابل بين زورهم وبين الاصم ، زور بكر ، ولكنّه لم يعتمد فى هذا على نفسه ، بل اعتمد على كلمة الاصم : « أنا زويركم » فكلمة الاصم — إذن — هى التى أمدته بهذه المقابلة ، على أنها فى ذاتها ليست بذات غناء . ثم وصف الاصم بأنه قد كان شيخاً لهم منذ قديم ولم تستجد له الرئاسة ، فلم يجد — لضعفه وسقوطه — وصفاً للقدم ، إلا أنه كان من عهد إرم ١١ ووصف هذا الاصم ، بأنه كان يلعب الاسنة ، ويقارع بالسيوف ، وأنه جرى يثب وثبة الأسد ، وكل هذه أوصاف مبتذلة تقولها العامة فى كل أمة « وإنما يزين الوصف المبتذل صياغة جميلة تلحقه بالجديد المبتكر (٢) » وهو هنا بعيد كل البعد عن هذه الصياغة .

واقراً البيت الثالث ، فستجد فيه خدوشاً كثيرة ، ترجع الى هذه الكلمة « معشراً » فقد وضعها الشاعر هكذا قلقة نابية فى ذاتها ، مشيعة الاضطراب والنبو فى البيت كله ، لافتة له عن وجهته .

(١) الزوران : ميران تيم ربطتهما ، وقالت هذان زوراننا ، أى سيدانا ومقدمانا ، لا نبرح حتى يبرحا . والاصم : هو أبو مفروق عمرو بن قيس بن مسعود ، من ذهل بن شيان ، وكان المقدم يوم الزور ، ولما عرف ما فعلت تيمم ، قل : وأنا زويركم . (٢) أسرار البلاغة .

فالببت يبدأ على التأنيث ثم ينحرف بهذه الكلمة « معشرا » الى التذكير ثم يلتفت إلى التأنيث الذي ابتدأ عليه ، ويقوم البيت بعده على التذكير الذي انحرف إليه ، وإنما نشأ هذا الاضطراب من ضيق الأفق ، وعدم استواء الشاعرية القوية التي تمدده ونفيته .

وماود معى قراءة الأبيات جملة فستحس - كما أحسست - انقطاعا ، وسترى - كما رأيت - فجوة وفراغا ، بين البيتين الثالث والرابع ؛ فالرجل أراد أن يقول شيئا ولكنه لم يجد الشاعرية التي تسمعه فانصرف عنه وقطع بنا الحديث قطعا بعد أن هيأنا لاستقباله .

واقرا بيتيه هذا الرابع ، فستخرج منه ربح الشاعرية ، ولكنها ربح مستعارة لأن ما في البيت « مثل » ضمنه الشاعر بيتيه ، ففضله فيه يرجع الى التمثل به حسب .

ذلك مبلغ الرجل من القوة ، يصوغ رجزه مما يلاك في الأفواه ، ويترسب في الذهن من المحفوظات .

وإنه ليطول بنا القول ، لو ذهبنا نحلل رجزه على قلته ، ولكننا نرى أن الوقوف عند رجزية واحدة ربما كان اهتماما لحق الرجل عند الحكم عليه ، وبين يدينا قصيدته المشهورة في كتب الشواهد التي مطلعها

جارية من قيس بن ثعلبة
... ..

فهو يضفي على الجارية صفات مبتذلة لا تزينها صياغة ، ولا يرفع قدرها حسن تصوير على عهدنا به فيما مر له ، فهي كريمة الحال ، كريمة الأصل ، نحيلة الخصر ، بمنزلة الربلات ، وكل هذا شائع ذائع ؛ فأما السقوط كله ، وأما التهافت كله ، وأما الضعف كله ، وأما نضوب الشاعرية ، وقرأغ الوفاء ، فلا يدل عليه شيء دلالة قوله :

كأنها حلية سيف مذهبة

بعد قوله :

كأنها حقة مسك مذهبة

ولك أن تقول : إن كتب التاريخ تحدثنا أنه لما أرسل صر إلى المغيرة ، ليسأل من قبله عما أحدثوا من الشعر ، قصد إلى لبيد ، وإلى الأغلب ، فلو جاز أن يكون الأغلب على ما وصفت تقصيرا وعجزا ، لما قصد إليه المغيرة .

والجواب عن ذلك جد يسير ؛ فقد كان الرسول والذين معه المقتدون على آثاره يحبون من الكلام أقصده ، وأميله إلى الصدق ، وأقربه إلى روح الشرع ، غير عابئين بما وراء ذلك من تصوير رائع ، أو جمال خلاب ، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى .

فالمغيرة قد يكون اختياره للأغلب آتيا من ناحية سابقة في الاسلام ، والمغيرة اريب

فطن يحجب رغبة أميره ، الذي يحب من الرجال ، كما يحب من المقال ، صنفا بعينه ؛ وأنت خير أن الجمال ليس هناك ، فاللغة لغة الإيمان والكفر ، والطاعة والفجور ، والحق والباطل .

وبعد : فالرجز بعد الأغلب كالرجز قبل الأغلب ، فنونه فنونه ، ولغته لغته ، ولسكته على يد الأغلب امتد نفسه وكان قصيرا ، ومع ذلك فنحن نجزم بأن هذه الخطوة التي تهيات له على يد الأغلب لم تقربه من الشعر ، إلا من ناحية الشكل ، أما في الواقع فلا ، لأن هذا الفن — فن الشعر — لا يقاس بالطول والامتداد ، وإنما بمعياره الجمال والتأثير .

وستراه وقد تهيات له هذه الخطوة ، ونم اندماجه في الشعر في مقالنا الآتي ، إن شاء الله ؟

لأمل السير شاقين

المدرس بالمدارس الأميرية

وصية على لابنه الحسن

من كتاب لأمر المؤمنين على لابنه الحسن رضي الله عنهما .

أما بعد يا بني فإن ما تفكرت فيه من إدبار الدنيا عني ، وإقبال الآخرة علي ، وحنو الدهر على ما نزعني عن ذكر سوائي ، والاهتمام بما ورأيت ، غير أنه حيث تفردني عن هم نفسي دون هم الناس ، وصدقني هواي ، وصرح بي محض رأي ، فأفضي بي إلى جد لا يزري به لعب ، وصدق لا يشوبه كذب ، وجدتك يا بني بعضي ، بل وحدثك كلّي ، حتى كأن شيئا لو أصابك لأصابني ، وحتى كأن الموت لو أتاك أتاني ، فعند ذلك عناني من أمرك ما عناني من أمر نفسي ؛ كتبت كتابي هذا يا بني إن بقيت أو فنيت ، فاني موصيك بتقوى الله وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله ، فإن الله تعالى يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » . وأي سبب يا بني أوثق من سبب بينك وبين الله تعالى ؟ أحى قلبك بالموعظة ، ونوره بالحكمة ، وقوه بالزهد ، وذلله بالموت ، وقوه بالغنى عن الناس ، وحذره صولة الدهر ، وتقلب الأيام والليالي ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وسر في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوه وأين حلوا ، فأنت مجدهم قد انتقلوا من دار الغرور ، ونزلوا دار الغربة ، وكأنك عن قليل يا بني قد صرت كأحدهم ، فبع دنياك بآخرتك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لا تعرف ، والأمر فيما لا تكلف ، وأمر بالمعروف بيدك ولسانك ، وانه عن المنكر بيدك ولسانك ، وباين من فعله ، وخض الغمرات إلى الحق ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، واحفظ وصيتي ولا تذهب عنك صفحا ، فلا خير في علم لا ينفع .

فطن يحجب رغبة أميره ، الذي يحب من الرجال ، كما يحب من المقال ، صنفا بعينه ؛ وأنت خير أن الجمال ليس هناك ، فاللغة لغة الإيمان والكفر ، والطاعة والفجور ، والحق والباطل .

وبعد : فالرجز بعد الأغلب كالرجز قبل الأغلب ، فنونه فنونه ، ولغته لغته ، ولسكته على يد الأغلب امتد نفسه وكان قصيرا ، ومع ذلك فنحن نجزم بأن هذه الخطوة التي تهيات له على يد الأغلب لم تقربه من الشعر ، إلا من ناحية الشكل ، أما في الواقع فلا ، لأن هذا الفن — فن الشعر — لا يقاس بالطول والامتداد ، وإنما بمعياره الجمال والتأثير .

وستراه وقد تهيات له هذه الخطوة ، ونم اندماجه في الشعر في مقالنا الآتي ، إن شاء الله ؟

لأمل السير شاقين

المدرس بالمدارس الأميرية

وصية على لابنه الحسن

من كتاب لأمر المؤمنين على لابنه الحسن رضي الله عنهما .

أما بعد يا بني فإن ما تفكرت فيه من إبدار الدنيا عني ، وإقبال الآخرة علي ، وحنو الدهر على ما نزعني عن ذكر سوائي ، والاهتمام بما ورأيت ، غير أنه حيث تفردني عن هم نفسي دون هم الناس ، وصدقني هواي ، وصرح بي محض رأيي ، فأفضي بي إلى جد لا يزري به لعب ، وصدق لا يشوبه كذب ، وجدتك يا بني بعضي ، بل وحدثك كلّي ، حتى كأن شيئا لو أصابك لأصابني ، وحتى كأن الموت لو أتاك أتاني ، فعند ذلك عناني من أمرك ما عناني من أمر نفسي ؛ كتبت كتابي هذا يا بني إن بقيت أو فنيت ، فاني موصيك بتقوى الله وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله ، فإن الله تعالى يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » . وأي سبب يا بني أوثق من سبب بينك وبين الله تعالى ؟ أحى قلبك بالموعظة ، ونوره بالحكمة ، وقوه بالزهد ، وذلله بالموت ، وقوه بالغنى عن الناس ، وحذره صولة الدهر ، وتقلب الأيام والليالي ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وسر في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوه وأين حلوا ، فأنت مجدهم قد انتقلوا من دار الغرور ، ونزلوا دار الغربة ، وكأنك عن قليل يا بني قد صرت كأحدهم ، فبع دنياك بآخرتك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لا تعرف ، والأمر فيما لا تكلف ، وأمر بالمعروف بيدك ولسانك ، وانه عن المنكر بيدك ولسانك ، وباين من فعله ، وخض الغمرات إلى الحق ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، واحفظ وصيتي ولا تذهب عنك صفحا ، فلا خير في علم لا ينفع .